يا عمال العالم اتحدوا!

الاتحاد

الخميس ١٩ كانون الثاني ١٩٩٥ الصفحة ١٦

لانها ميزانية منقوصة وتكرس نهج التمييز تجاه الجماهير العربية

الجبهة تصوت ضد قانون الترتيبات الاقتصادية

● الجبهة تصوت ضد تحفظات النائب ايلي ديان، لانها تجاهلت الوضع في الوسط العربي ●

النائب محاميد: نرفض نهج رابين دعوتنا قبل دقائق من التصويت على اي قانون ●

● القدس – لمراسلنا البرلماني – على الرغم من اقرار الكنيست قانون الترتيبات في المرافق الاقتصادية بالقراءتين الثانية والثالثة، ظهرت بوادر ازمة داخل حزب «العمل» بعد ان صوت خمسة نواب من كتلة «العمل» البرلمانية ضد القانون بالاضافة الى كتلة الجبهة الدمقراطية والحزب «الدمقراطي العربي».

وكان القانون المذكور حصل على اغلبية هزيلة (٥٨) صوتا ضد (٥٠).

وشنت قيادة حزب «العمل» حربا على رئيس الكتلة، ايلي ديان، الذي اصر على موقفه من قانون الترتيبات في المرافق الاقتصادية ورهن التصويت عليه باقرار يوم التعليم الطويل.

واجرت قيادة الائتلاف الحكومي اتصالات ماراتونية عشية التصويت، مع ديان لثنيه ومؤيديه عن موقفهم، ولكن بعد ان تبين ان هذه المحاولات عبثية قال رئيس الحكومة، يتسحاق رابين: «سنطرح القانون للتصويت عليه وليكن ما يكون».

وقبيل بدء التصويت على القانون بخمس دقائق تذكر رابين ان هناك كتلة الجسم المانع وينبغي الاتصال معها.

وكان اعضاء كتلة الجبهة قد اجروا تشاورا فيما بينهم ووافقوا على دعوة رابين وطرحوا امامه احتجاجهم على هذا التعامل.

وقال رئيس كتلة الجبهة البرلمانية، هاشم محاميد، ان دعوة رابين قبل التصويت بدقائق على اي قانون اصبحت نهجا ونحن نرفض ذلك.

واكد اعضاء كتلة الجبهة امام رابين ان قضايا عدة اثيرت امامه لم تتم معالجتها. وطرحوا على سبيل المثال لا الحصر، قضية المعتقلين من اعضاء الشبيبة الشيوعية.

وحاول رابين التملص من هذه القضية رغم وعوده السابقة، قائلا ان السبب المباشر في اعتقالهم هو الشرطة ولا يحق له التدخل في عمل الشرطة. الا ان اعضاء كتلة الجبهة اكدوا له ان الادعاء العام هو الذي طلب تمديد اعتقالهم حتى انتهاء اجراءات التحقيق معهم وليست الشرطة، وهذا يؤكد ان «الشاباك» وراء الموضوع.

وبعد هذا النقاش وعد رابين مجددا بفحص الموضوع!.

واصدرت كتلة الجبهة فيما بعد بيانا شرحت فيه اسباب تصويتها ضد قانون الترتيبات في المرافق الاقتصادية.

واكد البيان: «ان كتلة الجبهة لا يمكنها تأييد ميزانية منقوصة كهذه والتي تتجاهل الوسائل لجسر الهوة الاجتماعية، لا بل انها تكرس نهج التمييز والاضطهاد تجاه الجماهير العربية ومتطلباتها».

واشار البيان الى ان كتلة الجبهة قررت، ايضا، التصويت ضد تحفظات النائب ايلي ديان حول قضية يوم التعليم الطويل، التي تجاهلت الوضع في الوسط العربي.

ويشار الى انه بالاضافة الى ايلي ديان صوت ضد القانون الاعضاء التالية اسماؤهم من كتلة «العمل»: عمير بيرتس وراقي الول ويوسف لعنونو وشموئيل افيطال.

وغداة هذا الوضع المتأزم طالب رابين بان يقدم ديان استقالته، فيما قال وزير المالية، ابرهام شوحط، انه متأكد من ان ديان سيقدم استقالته، ووجه مسؤولون آخرون في «العمل» اصبع الاتهام الى مسؤولين في الليكود بوقوفهم وراء خطوة ديان.

اما شمعون بيرس فقد قال ان «اي اجراء ضد ديان من شأنه ان يحرق الجسور مع جمهور واسع».

واضاف «توسلت الى ديان بحرارة، خاصة وان لي خبرة اكثر منه في الحياة، ان يفصل بين قانون الترتيبات في المرافق الاقتصادية وبين قانون التعليم الطويل».

وقال عمير بيرتس، الذي طرح امام وزير المالية خمسة اقتراحات بديلة، ان شوحط، «قرر سحق ايلي ديان ولم يبق له اي منفذ للخروج بكرامة».

هذا ومن المتوقع ان تعقد كتلة «العمل» البرلمانية، يوم الاثنين القادم، جلسة خاصة للبحث في الموضوع.

ايلي غوجانسكي في السجن لرفضه الخدمة في المناطق المحتلة



● ايلي غوجانسكي● (تصوير: اسامة مصري – «الاتحاد»)

● حيفا – مكتب «الاتحاد» – حكمت المحكمة العسكرية في تل ابيب، امس الاربعاء، بالسجن الفعلي لشهر، على الضابط في الاحتياط، ايلي غوجانسكي (٣٢ عاماً)، نجل النائبة الجبهوية تمار غوجانسكي، لرفضه الخدمة في المناطق المحتلة.

وهذه المرة السادسة التي يدخل فيها ايلي الى السجن لرفضه الخدمة في المناطق المحتلة، ولرفضه المشاركة في غزو لبنان عام (١٩٨٢).

ويؤكد ايلي ان رفضه من منطلقات ضميرية وانسانية وسياسية.

لقاء حركات السلام في اسرائيل

تدعو انصار ونشيطي حركات السلام والاحتجاج في اسرائيل الى اللقاء العام الذي سيعقد يوم السبت ١٩٩٥/١/٢١ في قاعة «بيتينو» (شارع القدس ٢٩) في حيفا.

– مدة اللقاء: من الساعة العاشرة صباحا حتى الثانية والنصف ظهرا.

– هدف اللقاء: التباحث واستخلاص النتائج من اجل تقوية المعركة من اجل السلام العادل الاسرائيلي – الفلسطيني.

– يشارك في اللقاء:

* مندوبون عن جميع حركات السلام والاحتجاج في اسرائيل وشخصيات مستقلة يهودية وعربية.
* وفد فلسطيني رفيع المستوى يضم:
– الدكتور حيدر عبد الشافي.
– الدكتور مرعي عبد الرحمن (ابو فارس) – رئيس اللجنة الخاصة بالمنظمات غير الحكومية في السلطة الوطنية.
– مندوبو جمعية الأرض والمياه.

□ برنامج اللقاء:

– ١٠.٠٠ – ١٠.٣٠ تسجيل وضيافة.
– ١٠.٣٠ – ١١.٤٥ الجلسة الافتتاحية وتشمل:
* كلمة افتتاح من رئيس مجلس الجبهة القطرية النائب هاشم محاميد. (١٠ دقائق)
* مداخلات قصيرة (مدة كل منها ١٠ دقائق) من:
– د. مرعي عبد الرحمن
– مندوب حركة سلام الآن
– الصحفي حاييم بارعام
– مندوب عن جمعية الأرض والمياه
– الدكتور ايلان بابيه
يدير الجلسة: عوزي بورشطاين.
– ١١.٤٥ – ١٢.٠٠ استراحة قهوة وتوزيع المشاركين الى مجموعات عمل.
– ١٢.٠٠ – ١٣.٣٠ النقاش في (٤) مجموعات عمل:
(أ) النشاط المشترك الاسرائيلي الفلسطيني من اجل السلام العادل.
(ب) نشاط حركات السلام في اسرائيل: واقع جديد... أدوات جديدة؟
(ج) حلقة عمل بمشاركة رجال دين.
(د) قضايا العمال الفلسطينيين في اسرائيل.
– ١٣.٣٠ – ١٤.٣٠ الجلسة الختامية وتشمل:
* محاضرة ختامية للدكتور حيدر عبد الشافي
* اوراق العمل من مجموعات العمل
* كلمة ختامية من سكرتير الجبهة – محمد بركة.

– نأمل حضوركم –

* اعتقال ثلاثة اشخاص بتهمة تهديد مواطن من الرامة *

● عكا – مكتب «الاتحاد» – اعتقلت شرطة كرميئيل، امس الاول الثلاثاء، شاباً من قرية الرامة (١٨ عاماً)، في «كنيون كرميئيل»، رمى الحارس بكيس نايلون، عندما طلب تفتيشه، فتبين انه يحوي مواد متفجرة. وصباح امس الاربعاء، قرر قاضي محكمة الصلح في عكا ايتان مفين، تمديد اعتقاله لثمانية ايام، لاستكمال التحقيق.

ووفق ادعاء الشرطة، طلب ضابط الامن في مركز كرميئيل التجاري «الكنيون»، تفتيش الشاب، الا انه قذفه بكيس نايلون وهرب من المكان. وبعد فحص محتويات الكيس تبين انها مواد متفجرة جاهزة للاستعمال. وهرب شاب آخر كان مع المشبوه. وتمكنت الشرطة من اعتقال المشبوه، وتبذل الجهود لاعتقال الشاب الذي كان معه.

واشار ممثل الشرطة الى خطورة الحادث وصعوبة وتشعب التحقيق وابعاده السلبية على الاوضاع في الرامة.

وفي رده على اسئلة المحامي قال المحقق: لقد اعترف المشبوه انه ينام في كرميئيل في بعض الاحيان. وادعى انه وجد الكيس في محيط بيته واحضره الى كرميئيل ليسلمه الى اصدقائه ومعرفة ما بداخله. وانه اعتقل اثناء الاحداث الاخيرة في الرامة، ولا علم للشرطة فيما اذا كان قدم شكوى بأن افراد الشرطة ضربوه اثناء الاعتقال. واضاف المحقق: كان برفقته شاب آخر عندما دخلا الى «الكنيون» وذكر اسمه، ولا يعقل، كما يدعي، انه لا يعرفه. واطلاق سراحه من شأنه تشويش التحقيق وتنسيق المواقف بينهما.

وطالب المحامي زلبرمان باطلاق سراحه، مسوغاً ذلك بأن موكله فتى لا يعرف ما الذي وجده في الكيس، وقال: لقد وجد كيساً مع سلك كهربائي. ولا يمكنه ان ينسق مواقفه مع انسان لا يعرفه، لذلك يجب الاخذ بعين الاعتبار انه فتى!!

وكتب القاضي في القرار تسويغاً لضرورة تمديد اعتقال المشبوه: «اعترف ان حرية الفرد تهمني جداً وغالية ولا امسها بسهولة. صحيح ان الحديث يدور عن مشبوه بريء حتى الآن وانه فتى. وعند التمعن ملياً في امر الاعتقال وما قاله المحقق والمحامي، لا يمكنني تجاهل خطورة وفحوى التهمة. قد يكون وجد الكيس كما يقول ولا يعرف ما بداخله. لكن هناك امكانيات اخرى، كانت الشرطة ارتكبت خطأ ان لم تحقق فيها. وهناك علامة استفهام كبرى حول مصدر المتفجرات واهدافها».

واعتقلت الشرطة ثلاثة شبان من قرية الرامة، امس، للاشتباه بأنهم وزعوا منشوراً في القرية، هددوا فيه مواطناً من القرية لانه وافق على الانضمام للجنة الصلح في القرية، التي اليمت لتنقية الاجواء.

ودعا المنشور اهالي الرامة العرب الدروز الى شراء حاجياتهم من حوانيت درزية فقط!

ومن المتوقع ان تجلب الشرطة الثلاثة، اليوم، الى محكمة الصلح في عكا لطلب تمديد اعتقالهم.

تعزية

تعازينا القلبية الحارة الى زميلنا العزيز برهوم جرايسي ووالدته واخوانه واخواته وجميع آل جرايسي بوفاة الوالد المرحوم

حبيب عيسى جرايسي

له الرحمة ولكم من بعده طول البقاء

● اسرة «الاتحاد» ●

الحزب الشيوعي الاسرائيلي

فرع ام الفحم

تدعو اللجنة المحلية لفرع الحزب في ام الفحم جميع الرفيقات والرفاق لحضور اجتماع الكادر لدراسة رؤوس اقلام مؤتمر المنطقة الـ ١٣، وذلك اليوم الخميس ٩٥/١/١٩ الساعة السابعة مساء في نادي ابن الطفيل – حي الميدان

تهنئة حارة

الى الرفيق والزميل العزيز عباس زين الدين وزوجته وجميع افراد اسرته بمناسبة خطوبة كريمته الدكتورة عبير الى الدكتور موسى عودة

الف مبروك

اسرة «الاتحاد»



ضرائب الاملاك الباهظة.... أسلوب جديد للمصادرة (؟!)



جمعة ويوم

نظير مجلي

لو كنت (لا سمح الله) مكان رابين!

● حالة رئيس حكومتنا، يتسحاق رابين، كانت خلال هذا الاسبوع تستدعي الرثاء، اكثر من الغضب. طريقته في الرد على العملية الانتحارية، التي تسابقت «حماس» و «الجهاد» على تبنيها والتباهي بها، اظهرت قائدا ضعيفا فقد معظم عناصر القوة في تركيب شخصيته وحكومته وسياسته. وارتكب سلسلة من الاخطاء، واضحة وبارزة حتى في ابسط القضايا. لدرجة ان انسانا بسيطا مثلي، صار يتخيل انه لو كان مكان رابين (لا سمح الله) لتصرف بشكل اخر.. افضل وانفع لشعوب الدولة والمنطقة.

ان مطالبته ياسر عرفات بقمع الارهاب الاسلامي الفلسطيني، واستغلاله الحادث الارهابي الاجرامي في نتانيا للاعلان المتكرر عن تخليد احتلال القدس العربية وغور الاردن وفرضه الحصار الضاغط الخانق والتجويعي على الضفة والقطاع وامتناعه عن الظهور في الكنيست واختياره طريقة الرؤساء ذوي السطوة بالقاء بيان تلفزيوني الى الشعب، وامتناعه عن مواجهة اليمين عينا بعين ووجها بوجه.. كل هذه تدل على ضعف وبلبلة لا تليق برئيس حكومة مثل رابين، في جعبته انجازات تاريخية.. ان كان على صعيد قضية السلام او على صعد اخرى.. والقضية نسبية.

بالطبع، نحن لا نستهين بالمشاكل التي تواجه رابين، عندما تقع عملية ارهابية كهذه، يقتل فيها هذا العدد من الناس.. في قلب قلب اسرائيل، وفي موقع معروف كتجمع للجنود (وليس فقط للجنود، فهناك يقف ايضا سكان المثلث العربي واهالي سجنا - بيت ليد - وكلهم عرب - ومواطنون يهود وعرب اخرون).

فمن هذه الناحية، وعلى الرغم من رفضنا واستنكارنا لها، تعتبر عملية جريئة، حقق اصحابها هدفها الاساسي وهو ابعاد مجموعات جديدة من المواطنين اليهود في اسرائيل عن عملية السلام.

وبالنسبة لنا نحن المواطنين الفلسطينيين والعرب، فان «حماس» او «الجهاد» او كلتيهما معا اساءتا اولا وقبل كل شيء، للشعب وللذين اللذين تنتميان اليهما. اظهرتا اننا لا نعرف قيمة للحياة، ليس فقط حياة اليهود بل حياة العرب ايضا. وزرعتا، بهذه العملية، المزيد من بذور الحقد والعداء التي لا ينمو منها الا اعمال عدائية دموية ضد العرب. انهما تتسببان فقط في تشويه صورة الاسلام والمسلمين. وتظهران الشعب الفلسطيني ضعيفا وممزقا وبلا قيادة.

ونحن نعرف ان كل هذه الامور لا تهم قادة «حماس» ولا «الجهاد». كل ما يهمهم هو اثبات الوجود والتخريب على ما تبقى من عملية السلام ودفنها حية، ولا يهمهم الثمن الذي يدفع في مثل هذه العملية الانتحارية الجنونية.

ولكن «حماس» و «جهاد» لا تحتملان النقاش الحضاري والاختلاف في الرأي، وتظل قضيتهما خاضعة لموقعهما في صفوف الشعب الفلسطيني. فهذا الشعب، الذي يكتشف كل يوم، كم تضران بمصالحه الوطنية وحياته الانسانية، هو الذي يتحمل مسؤولية تحجيمهما ومكافحتهما. وقد علمتنا التجارب التاريخية ان العمليات الانتحارية تنجم اساسا عن الفشل والضعف واليأس وهي محاولات اثبات وجود.

ولكن، ما الذي يفعله رابين (؟!) وهو طرف رئيسي في مسيرة السلام وهو الرجل رقم واحد في الدولة التي تدعي الحضارة والدمقراطية؟!

ان اول ما فعله هو الظهور وكأنه المذنب في تلك العملية. ظهر ضعيفا وخائفا ومترددا، يساير اليمين الذي يهاجمه، ويتهرب منه. ولماذا؟ هل هو اول وزير دفاع لم يفلح في منع اعمال عدائية كهذه داخل اسرائيل؟ الم يسبقه ويتفوق عليه الليكود في ذلك!! لماذا لا يواجه الليكود بتاريخه الاسود في هذا المجال؟! لماذا لا يواجه حزب رفائيل ايتان، رئيس الاركان ابان حرب لبنان؟

فما الذي يطرحه الليكود اليوم لمواجهة «الارهاب»؟ هل يقترح شيئا غير مجرب؟! انه يطرح نفس سياسته القديمة، مواجهة «حماس» و «الجهاد» بحرب شاملة في الضفة والقطاع والغاء اتفاق اعلان المبادئ او تجميده. تماما كما فعلوا خلال حرب لبنان.

لـا حكومات الليكود السابقة، فشلت فشلا ذريعا في مكافحة «الارهاب»، لانها لم تجد وسيلة لعلاجه سوى وسيلة ارهاب الدولة.. وما زال الشعب في اسرائيل يعاني من اثار حرب لبنان العدوانية الفاشلة، التي شنها شارون بذريعة «مكافحة الارهاب». لكن الليكود، وهو في المعارضة اليوم، يحاول جر حكومة العمل الى اتباع اسلوبه الفاشل نفسه. ورابين، بدلا من استخلاص العبر من هذه التجارب المأساوية وتذكير الشعب بأخطارها، يبدو ضعيفا امام هجمة الليكود وديماغوغيته. يتأتئ، يتلعثم، يختبئ، ويحاول السير على خط استرضائي.. ويسجل بذلك الخسائر تلو الخسائر لـا

يوم نجح شارون في جر بيغن الى الغاء اتفاق وقف اطلاق النار الموقع مع منظمة التحرير الفلسطينية (والذي صمد في حينه ١٠ اشهر بلا خرق من اي طرف) واجتاح لبنان في حرب غارات ودبابات وسفن حربية وتطهير من بيت لبيت، وماذا كانت النتيجة؟! لقد تحول لبنان الى جهنم حارقة تحت اقدام الجيش الاسرائيلي. في كل يوم وقع القتلى والجرحى. المئات قضوا، والالوف جرحوا، وخرجوا من معظم اراضي لبنان، وها هو حتى اليوم ما زال احتلالهم يحصد الضحايا من الطرفين.

وفي زمن حكومة شمير لم يكن الوضع افضل بكثير. في مراحل طويلة منها كانت تلك حكومة تكتل قومي وكان رابين نفسه وزيرا للدفاع. وقد نفذ سياسة الليكود في الضفة الغربية وقطاع غزة، واشتهر بتهشيم العظام وبعصابات المستعربين وباطلاق الرصاص الحي على الرؤوس والصدور وغير ذلك.

فهل افادتهم شيئا تلك الممارسات؟ لماذا لا يخرج رابين للناس ويقول لهم بوضوح أن سياسة الليكود وسائر قوى اليمين قد تمت تجربتها وانها ليس فقط لن توقف الارهاب بل قد تؤدي الى تصعيده؟!

□ □ □ □

لكن خطأ رابين لا يكمن فقط في محاولاته استرضاء اليمين والهروب من مواجهته. انما يقوم بخطأ تاريخي في توجهه الحربجي والاحتلالي للشعب الفلسطيني، وتكثيفه للبؤر الاستيطانية حول القدس العربية وفي غور الاردن.

فبدلا من ان يكسب الشعب الفلسطيني في معركته ضد «حماس» و «الجهاد» وكل انواع التطرف، نجده يستعدي هذا الشعب ويستفزه ويذكره بأن اسرائيل ما زالت محتلة، هي صاحبة الامر والنهي.

ان فرض الحصار مثلا يعطي نتائج عكسية عما يريده رابين، هو يعتقد ان الحصار سيجعل العمال الذين يعملون في اسرائيل والتجار الذين يستفيدون من الخروج الى اسرائيل، يحقدون على «حماس» و «الجهاد». وقد يكون في هذا شيء من الصحة. ولكن النتيجة الاهم والاخطر والاقرب الى الصحة هي ان الشعب يختنق فقرا وجوعا ويأسا. وفي هذه الحالة، الطريق سيكون اقرب له الى «حماس» و «الجهاد» وليس لاسرائيل التي ما زالت بالنسبة له تمثل الاحتلال.. بكل موبقاته.. وبممارساته القتل والاستيطان والعملاء والاذلال على الحواجز وغير ذلك.

وبدلا من ان يفتح رابين الطريق امام القيادة الفلسطينية فتثبت سلطتها الشرعية على الاراضي الفلسطينية.. بدلا من دعمها ودفع مفاوضات السلام معها الى الامام، بدلا من تأكيد الامور المشتركة بينهما في النظرة الى الارهاب والتعامل مع قوى التطرف (الموجودة لدى الجانبين).. بدلا من كل هذا، نراه يطالب عرفات بقمع «حماس» و «الجهاد»، متناسيا ان عرفات ليس موظفا لديه. وان جزءا عضويا من مكافحتهما مرتبط بتقدم المفاوضات ويخلق الاستقرار النفسي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمواطنين وتحسين اوضاعهم المعيشية بشكل جدي ملموس. ويذهب الى جلسة الحكومة بعد ان يملأ الجو تهديدا بوقف المفاوضات. ثم يؤجل احدى جلساتها.

وكل هذه امور تمس القيادة الفلسطينية وثقة الجمهور بها، الثقة التي بدونها لا يمكن ان يقتنع الشعب الاسرائيلي بالسلام مع الشعب الفلسطيني او الشعب الفلسطيني بالسلام مع الشعب الاسرائيلي.

□ □ □ □

وعلى الصعيد نفسه، يتجاهل السيد رابين حلفاءه الطبيعيين في المسيرة السلمية من داخل اسرائيل، ونقصد قوى السلام والجماهير العربية. يدير ظهره لاحتياجاتها ومطالبها ويغازل قوى في اليمين المتطرف مثل تسومت (التي نجح في ضم عضوين منها الى ائتلافه) ويهادن الاحزاب الدينية عموما وشاس خصوصا، ويحج الى الراب عوفاديا يوسف لمسايرته واسترضائه، وهذا من جهته يبتزه ويحصل منه على الوعود والميزانيات والمناصب دون ان يحقق لرابين رغبته.

وهذا، مع العلم بأن قوى السلام والعرب تتعامل مع رابين وحكومته بمصداقية نادرة، لا تتعامل بالابتزاز ولا تطرح اية مطالب غير واقعية وتتصرف باعتدال في كل المجالات. واي واحد مكانه، كان يفضل التفاهم معها عن اية قوة اخرى.

في ابسط القضايا، لم يعرف رابين كيف يحترم توجه هذه القوى ورغبتها. الميزانيات لم يقرها الا بعد اضراب طويل لرؤساء السلطات المحلية. ولم يحررها، بعد اقرارها، الا في اعقاب اضراب اخر. قضية العملاء وجرائمهم لا يبدي حتى الان اية بارقة امل لحلها حلا عقلانيا بدون استفزاز المواطنين العرب. قضايا الاوقاف الاسلامية واقرث وبرعم والبيوت المهددة بالهدم في النقب والقرى غير المعترف بها.. وغيرها.. ما زالت معلقة بلا حل. وهكذا..

□ □ □ □

فوق كل هذا، يعاني رابين من مصاعب جدية وتمرد وفوضى داخل حزبه وكتلته البرلمانية. لا يفلح حتى الان في ايجاد الحلول الجذرية لها.

فلديه مجموعة بقيادة كهلاني متمردة في موضوع الانسحاب من هضبة الجولان السورية المحتلة. ومجموعة اخرى تمردت في انتخابات الهستدروت. ومجموعة ثالثة تمردت في موضوع يوم التعليم الطويل.

□ □ □ □

ازاء كل هذا، يدعو وضع رابين الى الرثاء، ولكن ايضا للقلق.

مسلسل المضايقات ضد ڤكتوريا حتى الفصل من العمل لانها تزوجت من شاب عربي:

«الا تخجلين من نفسك؟... كيف تحملين عربيا في بطنك؟»!

■ ادارة فندق «كفار همكابيه» تنفي الفصل على اساس عنصري وتقول: «السبب هو عدم قيامها بواجبها»! ■ قبل ذلك بفترة قصيرة حصلت ڤكتوريا على مكافآت واطراءات عديدة لاجتهادها واخلاصها!! ■ عاملان عربيان من الطيبة فصلا من عملهما في «السفاري»: «الادارة قامت بتنظيف السفاري من العمال العرب، تماما تقريبا»!! ■ الادارة: «لا عنصرية»! ■

● تقرير: جهاد عقل ●

● عندما احتفل الشاب الطيباوي زكي عازم وزوجته ڤكتوريا كاربوڤتش - عازم، بزواجهما يوم (٩٤/٧/٨)، غمرتهما السعادة بتحقيق الحلم، حلم بناء عش الزوجية وكسر الحواجز وتحدي الظروف المعقدة في المجتمع الاسرائيلي بالنسبة لموضوع الزواج المختلط. لكن تطور الامور فيما بعد كان باتجاه المضايقة لڤكتوريا وزوجها، مما اكد انه ليس من السهل خوض تجربة الزواج المختلط في بلادنا.

* «تعارفنا في العمل» *

تبدأ قصة الزوج عازم في فندق «دان» في تل ابيب، يوم كانا يعملان معا، وذلك في العام ١٩٩٢ ويومها قررا الخطوبة واضطرت ڤكتوريا الى ترك عملها، لان شروط العمل تمنع ان يعمل في المكان نفسه اقارب او زوج وما شابه. وبحثت ڤكتوريا عن عمل في مهنتها كنادلة مهنية، وتنقلت في عملها من مكان لاخر حتى وجدت لها عملا في «كفار همكابيه» في رمات غان بواسطة مقاول ثانوي.

* «قبلت للعمل مباشرة بسبب امتيازها» *

ڤكتوريا شابة في مقتبل العمر من مواليد العام ١٩٧٤، قدمت الى اسرائيل من الاتحاد السوڤييتي سابقا، مجتهدة في عملها كما تقول. «والدلالة على ذلك انه بعد عملي بواسطة المقاول، وملاحظة المسؤولين في «كفار همكابيه» انني عاملة ممتازة ومجتهدة، توجهوا اليّ وطلبوا ان انضم الى طاقم العاملين في الفندق بشكل مباشر وليس بواسطة المقاول الثانوي، سررت لهذا الطلب، ووافقت»، وحصلت ڤكتوريا خلال فترة عملها على عدة جوائز لامتيازها ونشاطها وبذلها الجهد للقيام بعملها على احسن وجه.

* بداية المشاكل.. اعلان الخطوبة رسميا *

في (٩٣/١٠/٢٨) اعلنت ڤكتوريا وزكي عازم خطوبتهما بشكل رسمي وعلني، وابلغت المسؤولين عنها في مكان العمل بذلك. «في البداية فرحوا، لكن عندما علموا بأن خطيبي هو عربي من الطيبة، لاحظت التغيير لديهم، وسألوني باستغراب: هل ستتزوجين من عربي؟ قلت لهم نعم. لكن الامر لم يرق لهم بتاتا».

وقبل حفل زواجها في تموز الماضي، حصلت على امتياز من مكان العمل، وارسلوها لفترة نقاهة على حساب الفندق تقديرا لمجهودها.

الا ان ڤكتوريا وزوجها زكي يؤكدان ان المشاكل والمضايقات بدأت تزداد من قبل المسؤول المباشر عنها «لكن ليس بحدة كبيرة». ويبدو ان المسؤول اعتقد بأن خطوبتهما لن تستمر.

* بعد الزواج.. بدأت المشاكل الجدية *

«بعد ان اتممنا حفل زواجنا، وسافرنا الى الخارج لقضاء شهر العسل، عدت الى العمل كالمعتاد. وهنا بدأت

● عدنان مصاروة ● ● عصام نصيرات ●

المشاكل من جديد وبحدة اكبر. وبدأوا يضايقونني اكثر واكثر لسبب وبدون سبب. والاسوأ من ذلك عندما عرفوا بأنني حامل، بدأت اسمع كلمات قاسية جدا مثل «كيف تحملين عربيا في بطنك؟». «الا تخجلين من نفسك، فأنت تحملين «حماس» و «جهاد»... الخ». «وانظري كيف يستغلك زوجك العربي، فالمرأة لديهم لا تعمل.. هل كان سيسمح لاخته بالعمل هنا؟»».

وتضيف ڤكتوريا قائلة: «هذا الكلام لم اسمعه قبل الزواج، لقد حاولوا المس بي، وتحطيم زواجي من زكي.. لانه عربي فقط لا غير. وبدأت الاتهامات توجه الي من كل طرف، والمضايقات، وحاولوا اظهاري وكأنني لا اعرف عملي، وبأن مظهري وانا حامل يضايق الزبائن.. وبعد مرور عدة اشهر، بدأت الشتائم، والضغوطات، وكل ذلك لطردي من العمل.. تحملت وواصلت عملي.. وذكرتهم بما كان قبل عدة اشهر حين حصلت على جوائز ومكافآت لاجتهادي، فهل تغير شيء؟.. فأنا ما زلت ڤكتوريا.. وكانت الاجابة. «بطنك تخيف الزبائن والضيوف.. وانت تعرفين ما يوجد فيها».

وتواصل ڤكتوريا الحديث بألم عمّا مرت به: «واقترحوا عليّ ترك الفندق، والانتقال للعمل داخل غرف التنظيف، حيث توجد المياه، وخطر الانزلاق وفي مهنة هي ليست مهنتي. كنت في شهري الثالث. وبسبب مضايقاتهم اغمي علي. ونقلوني للمستشفى حيث تلقيت العلاج هناك، وبعد عودتي للعمل رفضوا ان اعمل في مهنتي، وقالوا: اما غرف التلميع واما ان تعودي الى البيت. وتم ابعادي عن عملي لمدة اسبوعين بحجة انني «نقطة»!

* وما هو موقف لجنة العمال والهستدروت *

تقول ڤكتوريا: «لم اسلم بالامر وتوجهت الى لجنة العمال والهستدروت، وعدت الى العمل، لكن المسؤول لم يتركني وشأني. وفي احدى المرات قال لي: «لن يكون سهلا ان تعملي هنا، فأنت اعلنت اسلامك وتزوجت من عربي»!!

ويظهر من حديث الزوج زكي بأن هذه التصرفات ضايقته، وتوجه للمسؤول طالبا عدم مضايقة زوجته، والتوقف عن توجيه الالفاظ التي تشتم منها العنصرية، وحاولوا اتهامه بأن «عربيا يهددهم»!!

ڤكتوريا اصرت ان لها الحق، ولن تتنازل عن مكان عملها، خاصة وانها على قناعة بأن السبب ليس منطقيا وهو متعلق بكونها تزوجت من عربي. وتواصلت المضايقات، وقالوا لها «لن تواصلي العمل»، «وانت ضيفة هنا»، و «لقد تم محو اسمك من العمل» و «انت مفصولة من العمل»، وتقول: «لقد ثارت اعصابي، وغضبت لهذه التصرفات، لان الموضوع هو عنصرية لا غير».

وعن الهستدروت تقول: «قبل اسبوع اتصل ممثل الهستدروت وقال نريد انهاء الموضوع، واستدعى مدير القوى العاملة ورئيسة لجنة العمال، وكان الاقتراح بأن يدفعوا لي مستحقاتي، لكن المدير طلب ان اقدم رسالة اعتذار خطية، ليدفعوا لي التعويضات، لكنني رفضت ذلك الاقتراح، فهم الذين يجب ان يعتذروا لي وليس انا».

بقي الموضوع معلقا ولا يزال كذلك حتى الان، وڤكتوريا وزوجها زكي عازم ينتظران مولودهما الاول، بفارغ الصبر، ليكون الرمز للتحدي.

ولا بد من الاشارة الى ان ادارة «كفار همكابيه» كانت قد نفت ان يكون سبب فصل ڤكتوريا من العمل كونها متزوجة من عربي، بل «جاء لاسباب تتعلق بعدم قيامها بواجبها»!!

● زكي عازم وعروسه ڤكتوريا كاربوڤيتش ●

* «البطيخة».. سبب للفصل من العمل *

عندما تكون النظرة عنصرية تجاه العامل العربي، لا بد وان يبحث صاحب العمل عن السبب لدعم موقفه المتطرف هذا، حتى لو كان لأتفه الاسباب. وهذا ما حدث مع العاملين عدنان مصاروة وعصام نصيرات من الطيبة.

عدنان مصاروة بدأ عمله في حديقة الحيوانات (السفاري) في رمات غان قبل سبع سنوات ونصف السنة وهو متزوج واب لثمانية اولاد، وزميله عصام نصيرات بدأ العمل كحداد هناك قبل ست سنوات ونصف السنة وهو ايضا متزوج وله ولدان.

يقول عصام نصيرات: «انا اعمل حدادا منذ ست سنوات ونصف السنة في «السفاري»، وسيرتي معروفة بحسنها. كل شخص عملت معه يشهد باجتهادي واخلاصي في عملي، ولم تحدث معي اية مشكلة في العمل ولم تقدم لي حتى ملاحظة واحدة..».

ويضيف زميله عدنان مصاروة: «يعمل في «السفاري» حوالي ٨٠ عاملا. قبل قدوم هذا المدير كان هناك حوالي ٣٠ عاملا عربيا من الضفة، لكنه قام بفصلهم بأساليب مختلفة، كي لا يبقى عرب هناك. وكان يعلن ذلك دائما».

ويقول عصام نصيرات: «ما يقوله عدنان صحيح. في كل مرة كان المدير يضع شروطا تعجيزية للعمال العرب حتى يتركوا العمل مع انهم عمال مخلصون. ووصل به الامر ان اعلن مرة أنه يخاف ان يحضر في احد الايام ويجد الحيوانات ميتة»!.

وعن قصة فصلهما من العمل يقول عدنان مصاروة: «يوم (٩٤/٧/١٢) كان طلاب مدرسة عربية في زيارة للحديقة. اردت ان اريهم كيف تأكل

(البقية على ص ١٥)

«المشتركة» تثير الموضوع

■ منذ بداية قضية الزوجين عازم قام ممثلو القائمة «المشتركة» بمتابعة الموضوع، وتقدموا باستجواب الى الهستدروت، وطلبوا تدخل حركة «نعمت» ايضا. وكان النقابي جميل ابو راس قد اثار الموضوع من على منبر اللجنة التنفيذية مطالبا بوضع حد لهذه التوجهات العنصرية، وان تتخذ الهستدروت موقفا ضد تصرفات من هذا النوع. واثار ايضا موضوع فصل العاملين من الطيبة اللذين كانا يعملان في «السفاري»، وتم فصلهما على هذا الاساس ايضا.

وتم تحويل الموضوع الى قسم التنظيم المهني لمتابعته.



في يوم دراسي حول عمل بعض مكاتب الخدمات الاجتماعية

(٢٠,٨٤٢) مواطنا عربيا بحاجة ماسة الى علاج اجتماعي... لكنهم لا يتلقونه!!

□ مكاتب الخدمات الاجتماعية في الوسط العربي تعاني من نقص في الملاكات يعادل (٤١٢) ملاكاً □ النقص في النقب لوحده يبلغ (٨٨) ملاكا!! □ حكمية حليحل: «المشكلة الأساسية هي - نقص الملاكات والميزانيات»! □ مشاكل اجتماعية حادة: أطفال يتعرضون للعنف... عنف في داخل العائلات... مسنون ومتخلفون عقليا لا يحظون بالاهتمام □ جهاد سعد: تكاثف الجهود من جميع المعنيين - حاجة ملحة! □ ايلي بن غيرا: مطلوب ضغط جماهيري على المسؤولين! □

□ تقرير وتصوير: آمال شحادة □







● جهاد سعد ● ● حكمية حليحل ● ● ايلي بن غيرا ●

● الصورة القاتمة، التي انجلت في اليوم الدراسي الذي عقد هذا الاسبوع حول وضع «مكاتب الخدمات الاجتماعية المجمعة» ما بعد الحل والتفكيك، تعكس الوضع الاجتماعي الصعب الذي تعيشه الجماهير العربية، وبشكل خاص داخل العائلة وبين الأطفال.

(٢٠٨٤٢) مواطنا عربيا بحاجة ماسة الى علاج اجتماعي! ولكن شح الميزانيات والنقص في الوظائف يجعل من هؤلاء ضحايا لهذا المجتمع. فمنهم من يعيش في وضع اقتصادي صعب يتبعه وضع اجتماعي أصعب وأخطر. ومنهم من ينحرف الى عالم المخدرات أو السرقات. ومنهم - وهؤلاء ربما الأكثر ضحية - يقبعون تحت الاعتداءات والعنف في موضع اجتماعي يصعب على القلم وصفه!

ولكن، امام هذا الوضع القاتم يخرج نور لا يزال في بدايته قد يساعد بالاسراع في حل المشكلة.. هذا النور ينعكس من خلال تدخل رؤساء السلطات المحلية العربية ودعمها لعمل المكاتب الاجتماعية في كل قرية او مدينة عربية.

* العامل الاجتماعي الواحد كان يخدم (١١) الف مواطن!! *

منذ العام ١٩٧٨، اقيمت مكاتب مجمعة في الناصرة وعكا والخضيرة، عالجت مشاكل المواطنين في البلدة والمنطقة المحيطة بها وخدمت معظم القرى العربية.

ويقول العامل الاجتماعي جهاد سعد: «في هذه المكاتب كان العامل الاجتماعي يخدم (١١) الف مواطن، الأمر الذي أدى الى وجود مشاكل كثيرة، وبالأساس في عدم تقديم الخدمات الاجتماعية بشكل سليم ولجميع المحتاجين. الأمر الذي ادى الى تكاتف لجنة متابعة الخدمات الاجتماعية ونقابة العمال الاجتماعيين ورؤساء السلطات المحلية العربية للعمل والنضال من أجل اقامة مكاتب اجتماعية في كل بلد لخدمة الأهالي المحليين. وكانت اولى بوادر تحقيق النجاح في المعركة في العام ١٩٩٣ بحل مكتب مجمع الناصرة ثم تلاه في العام ١٩٩٤ حل مكتب مجمع عكا. وهذه السنة سينفذ الأمر في مكتب مجمع الخضيرة».

* العامل الاجتماعي العربي يعالج (٤) آلاف محتاج *

لقد كانت التوقعات من وراء تفكيك وحل المكاتب المجمعة، تشمل، أساسا: تسهيل العمل بين المحتاجين للعلاج الاجتماعي، أكثر مما كان عليه سابقا. ولكن الثغرة بين الخدمات الاجتماعية بين الوسطين العربي واليهودي انجلت بشكل أوضح، وتم الكشف عن مشاكل كثيرة يعاني منها المسؤولون في هذه المكاتب، وبشكل خاص النقص في الملاكات. ففي حين ان المعدل لكل عامل اجتماعي هو ألف مواطن، يعمل العامل الاجتماعي العربي مع (٤) آلاف مواطن، واليوم هناك نقص يعادل (٤١٢) وظيفة! وفي النقب يظهر النقص الأكبر حيث انهم بحاجة الى (٨٨) ملاكا.

وتقول رئيسة لجنة متابعة الاوضاع الاجتماعية، السيدة حكمية حليحل: «المشكلة الاساسية التي نعاني منها، امام الوضع الاجتماعي الصعب بين الجماهير العربية، هي النقص الكبير في الملاكات والميزانيات. فلا يمكن لمدير المكتب لوحده ان يعالج مشاكل اهالي البلد. نحن اليوم بحاجة الى إحداث قفزة في وضع المكاتب القائمة وزيادة الملاكات».

* «الاتحاد»: ولكن هناك مشكلة يطرحها البعض وهي النقص في العاملين الاجتماعيين؟

- حليحل: هناك امكانية لحل هذه المشكلة بتأهيل اكاديميين للعمل الاجتماعي. فهناك عدد كبير من الاكاديميين لا يجدون العمل، وتأهيلهم يساعد في حل المشكلتين معا.

* «الاتحاد»: ما هي اكثر المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الوسط العربي؟

- حليحل: هناك مشكلة الأطفال الذين يعانون من مشاكل اجتماعية، وبشكل عام نسبة الاطفال عالية في الوسط العربي، ومع وجودنا في العُشر الرابع وما دون في السلم الاقتصادي لهذا بحد ذاته مشكلة صعبة. وعلينا العمل الوقائي لمنع استفحال المشكلة الاجتماعية ثم تقديم الخدمات بشكل سليم. واضافة الى ذلك، فهناك مشكلة العلاج العائلي. هذا العلاج معدوم في الوسط العربي، نحن بحاجة الى مراكز للعلاج العائلي، وكل الاحصائيات تشير الى وجود عائلات كثيرة بحاجة الى علاج اجتماعي لكنها لا تحصل عليه.

* «الاتحاد»: اين تظهر بشكل أكثر، مشكلة العائلات التي تحتاج الى علاج اجتماعي؟



● منصة رئاسة اليوم الدراسي حول المكاتب المجمعة ما بعد التفكيك... مشاكل وآفاق ●

- حليحل: حسب الاحصائيات التي حصلنا عليها تبين انه في مدينة الناصرة هناك (٢٧٠٠) عائلة بحاجة الى علاج لا تحصل عليه ثم راهط (١٢٦٠) عائلة وام الفحم (١١٣٥) عائلة والطيبة (١٠٥٠) عائلة وشفاعمرو (١٠٢٠) عائلة. وهكذا، ويصل عدد المواطنين المحتاجين للعلاج ولا يحصلون عليه الى (٢٠) الفا و(٨٤٢) مواطنا.

* «الاتحاد»: امام هذا الوضع.. ماذا ستفعلون كلجنة متابعة؟

- حليحل: الحاجة الماسة اولا وقبل كل شيء لمضاعفة عدد العاملين الاجتماعيين ليصبح المعدل: عامل اجتماعي واحد لكل الف مواطن! كذلك هناك حاجة لاقامة جسم ممثل من لجنة الرؤساء ومركز السلطات المحلية ولجنة متابعة الخدمات الاجتماعية للعمل معا وبشكل مكثف من اجل سد الثغرة التي يعاني منها الوسط العربي في مجال الخدمات الاجتماعية على مدار سنوات طويلة.

* «تحسن... لكنه غير كاف»! *

وفي هذا المجال، هناك دور ايضا لنقابة العاملين الاجتماعيين. وفي حديث مع سكرتير نقابة العاملين الاجتماعيين، ايلي بن غيرا، قال: «لا شك ان هناك حاجة ماسة لايجاد طريقة للضغط على المسؤولين اكثر من أجل زيادة الميزانيات والملاكات في الوسط العربي لحل المشكلة. ومن جهتي، ارى من المناسب العمل بضغط جماهيري في الكنيست وامام لجنة العمل والرفاه الاجتماعي البرلمانية ورئيس الحكومة ووزير المالية، من اجل تحسين الوضع القائم. وهنا، اود ان اشير الى انه رغم الوضع الصعب الذي يعانيه الوسط العربي في مجال الخدمات الاجتماعية، الا انه في الفترة الأخيرة ظهرت النية من قبل المسؤولين لتحسين الوضع. ولكن هذا غير كاف ويجب العمل أكثر».

واضاف بن غيرا: «اليوم نسمع من المسؤولين انهم يعترفون بالأرقام التي تطرحها لجنة متابعة الخدمات الاجتماعية حول المشاكل الموجودة. وهذا الاعتراف يعتبر تقدما ونجاحا لأن الأمر لم يكن هكذا قبل عدة سنوات، اضافة الى اننا بدأنا نلمس تجاوبا من قبل رؤساء السلطات المحلية للتعاون والعمل معا من اجل حل المشكلة. وهذا ايضا سيعطي نتائجه الايجابية. ويبقى الأمر الأساسي: التعاون معا والضغط المكثف من اجل تغيير الوضع القائم»!

● جانب من الحضور في اليوم الدراسي حول المكاتب المجمعة ما بعد التفكيك ●

الاحصائيات تنطق وبالأرقام!

● الاحصائيات التي دونتها لجنة متابعة الاوضاع الاجتماعية للجماهير العربية بالتعاون مع اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية، في كراس خاص حول الخدمات الاجتماعية في الوسط العربي، تكشف، ولأول مرة، عن مدى المأساة التي يعيشها الوسط العربي في هذه البلاد والمشاكل التي يعانيها، وبشكل خاص في مجال العنف بين الأطفال وداخل العائلة، والفتيات والشباب في ضائقة.

وحسب الاحصائيات، فقد احتلت قرية جلجولية المكان الأول في عدد العائلات التي تتعرض للاعتداء، اذ توجد (١٣٠) عائلة وفي ام الفحم هناك (١٢٠) عائلة وفي الناصرة (٨٠) عائلة.

اما الشباب الذين في ضائقة، فأكثرهم في مدينة الناصرة اذ يعالج (١٤٥) شابا وفي ام الفحم (١٢٠) شابا والطيرة (٧٠) شابا... الخ.

اما الشابات في ضائقة فتظهر في مدينة الناصرة، وهناك (١١٤) شابة وفي ام الفحم (٧٠) شابة وفي الطيبة (٦٥) شابة.

اما الأطفال الذين يتعرضون للاعتداءات، فيظهرون بشكل اكثر في يركا اذ يعالج هناك (٣٧٠) طفلا ثم الطيبة (٣٥٠) طفلا وفي جلجولية (٢٦٠) طفلا والناصرة (٢٠٠) طفل.

وفيما يلي سجل بالاحصائيات التفصيلية حول هذه الحالات الاجتماعية المأساوية، كما زودتنا بها مكاتب الخدمات الاجتماعية التي تعالج هذه الحالات:

* نسبة الاولاد في كل بلد *

* ام الفحم وعيلوط (٦٠٪) * راهط (٥٨.٣٪) * اكسال (٥٧٪) * كسرى وعرابة (٥٥٪) * عيلبون (٥٤٪) * جولس (٥٢٪) * ديرحنا وعرب الشبلي وقلنسوة (٥١٪) * كفرياسيف (٥٠.٥٪) * شفاعمرو وبيت جن والمغار ويركا وحرفيش والنقب والطيرة وكفرمندا ومجد الكروم وعسفيا والرامة (٥٠٪) * المكر - جديدة (٤٨.٩٪) * طمرة (٤٧.٨٪) * يانوح (٤٧.٦٪) * دير الأسد (٤٧٪) * ابوسنان وكفركنا (٤٦٪) * البقيعة والناصرة (٤٥٪) * الطيبة (٤٤.٤٪) * دبورية والمشهد وعين ماهل (٤٠٪) * يافة الناصرة (٣٧٪) * جلجولية (٣٢٪) * كوكب ابو الهيجا (٣٠٪) * معليا (٢٨.٩٪) * كابول (٢٨٪) * طرعان (٢٧.٥٪) * عبلين (٢٥٪).

* نسبة المسنين في كل بلد *

* حرفيش (٢٠٪) * ديرحنا (١٣٪) * معليا (١٠٪) * قلنسوة (٩٪) * الرامة وكسرى (٨٪) * يانوح (٧.٤٪) * الطيرة (٧٪) * جلجولية (٦.٥٪) * المكر - جديدة وعيلبون (٦٪) * الجش (٥.٧٪) * عسفيا (٥.٤٪) * عرابة ومجمعات البدو في النقب وراهط والمغار وبيت جن (٥٪) * عبلين (٤.٧٪) * كوكب ابو الهيجا وكابول ويافة الناصرة ويركا وشفاعمرو والطيبة والبقيعة وكفركنا ودير الأسد (٤٪) * دبورية (٣.٩٪) * ابوسنان (٣.٧٥٪) * المشهد وكفرياسيف (٣.٦٪) * مجد الكروم وطرعان وطمرة وام الفحم (٣.٥٪) * عيلوط وعرب الشبلي والناصرة وبئر المكسور وبسمة طبعون وعين ماهل (٣٪) * طوبا الزنغرية (٢.٩٪) * جولس (٢.٤٪) * كفرمندا (٢.٣٪).

* عدد المتخلفين عقليا في كل بلد *

* الناصرة (٢٠٠) * ام الفحم (١٦٠) * راهط (١٥٢) * الطيرة (١٠٠) * طمرة (٩٨) * عرابة (٧٧) * الطيبة (٦٠) * جلجولية (٥٦) * شفاعمرو (٥٥) * كفرمندا (٥٢) * المغار (٥٠) * عين ماهل وعبلين وكفركنا (٤٠ في كل قرية) * يافة الناصرة ومجد الكروم (٣٨ في كل قرية) * قلنسوة (٣٥) * دبورية ودير الأسد (٣٤ في كل قرية) * كسرى (٣٣) * المشهد (٣١) * ديرحنا وابوسنان واكسال (٣٠ في كل قرية) * بئر المكسور (٢٩) * الرامة ويركا (٢٨ في كل قرية) * حرفيش (٢٥) * عيلبون (٢٤) * كفرياسيف (٢٣) * البعينة - النجيدات (٢٢) * عيلوط وعسفيا وبيت جن (٢٠ في كل قرية) * بسمة طبعون (١٩) * يانوح وطوبا الزنغرية (١٨ في كل قرية) * عرب الشبلي (١٧) * البقيعة (١٥) * كوكب ابو الهيجا والجديدة - المكر (١٢ في كل قرية) * جولس (١٠) * معليا (٨) * طرعان (٧) * الجش (٦)

* عدد الفتيان في ضائقة في كل بلد *

* الناصرة (١٤٥) * ام الفحم (١٢٠) * الطيرة (٧٠) * عيلوط وعرابة وكفركنا (٦٠ في كل قرية) * الطيبة وجلجولية (٥٠ في كل قرية) * البقيعة (٤٥) * يركا وراهط (٤٢ في كل قرية) * ابوسنان (٤٠) * عسفيا (٣٦) * دير الأسد (٣٥) * كفرمندا (٣١) * عيلبون ومعليا (٣٠ في كل قرية) * المغار (٢٧) * بئر المكسور (٢٦) * طمرة وكفرياسيف (٢٥ في كل قرية) * بيت جن والرامة وحرفيش (٢٠ في كل قرية) * اكسال (١٨) * ديرحنا وكسرى (١٢ في كل قرية) * شفاعمرو ومجد الكروم (١٠ في كل قرية) * طرعان (٦) * عين ماهل (٥) * يانوح (٣).

* عدد الفتيات في ضائقة في كل بلد *

* الناصرة (١١٤) * ام الفحم (٧٠) * الطيبة (٦٥) * راهط (٦٢) * جلجولية والطيرة (٥٠ في كل قرية) * قلنسوة (٤٥) * شفاعمرو (٤١) * يركا (٣٧) * عسفيا (٣٠) * دير الأسد (٢٣) * طمرة وابوسنان والرامة وعيلوط وعين ماهل (٢٠ في كل قرية) * عرابة واكسال (١٥ في كل قرية) * مجد الكروم (١٢) * بيت جن والمغار (١٠ في كل قرية) * الجديدة - المكر (٨) * عيلبون (٦) * بئر المكسور ويافة الناصرة (٥ في كل قرية) * كفرمندا وحرفيش (٤ في كل قرية) * طرعان وديرحنا والبقيعة ويانوح (٣ في كل قرية) * كفرياسيف وكسرى وعرب الشبلي والبعينة - النجيدات (٢ في كل قرية) * كوكب ابو الهيجا وبسمة طبعون ومعليا وطوبا الزنغرية (١ في كل قرية).

* عدد العائلات التي تعاني من العنف في داخلها *

* جلجولية (١٣٠) * ام الفحم (١٢٠) * الناصرة (٨٠) * الطيبة (٧٠) * الطيرة (٦٥) * طمرة (٥٠) * يركا (٣٢) * الرامة (٣٠) * المغار (٢٩) * ديرحنا وقلنسوة (٢٧ في كل قرية) * دير الأسد (٢٤) * كفركنا (٢٠) * عرابة (١٩) * مجد الكروم (١٥) * كفرياسيف (١٤) * كفرمندا (١٣) * عرب الشبلي (١١) * بئر المكسور وعين ماهل وكابول وعيلوط (١٠ في كل قرية) * اكسال (٩) * بسمة طبعون وعسفيا (٨ في كل قرية) * البعينة - النجيدات ومعليا وعبلين وعيلبون (٧ في كل قرية) * شفاعمرو وبيت جن وابوسنان (٦ في كل قرية) * طرعان والبقيعة (٥ في كل قرية) * المشهد (٤) * طوبا الزنغرية وكسرى ويانوح (٣ في كل قرية) * حرفيش (٢).

* عدد الأطفال الذين يتعرضون للعنف في كل بلد *

* يركا (٣٧٠) * الطيبة (٣٥٠) * جلجولية (٢٦٠) * الناصرة (٢٠٠) * ام الفحم (١٥٠) * عرابة (٨٠) * الطيرة (٦٥) * ديرحنا (٥٤) * قلنسوة والمغار (٤٥ في كل قرية) * شفاعمرو (٤٠) * دير الأسد (٣٥) * عيلوط (٣٠) * عسفيا (٢٢) * بيت جن (٢٠) * طرعان والبقيعة (١٥ في كل قرية) * اكسال وراهط (١٣ في كل قرية) * الرامة وكسرى وعيلبون (١٠ في كل قرية) * كفرمندا (٧) * مجد الكروم ومعليا (٥ في كل قرية) * بئر المكسور (٤) * البعينة - النجيدات (٣) * بسمة طبعون وعين ماهل (٢ في كل قرية) * المشهد (١).

في مكتب الخدمات الاجتماعية في قرية بيت جن

(٤,٥) ملاكات لسبعة آلاف نسمة

و... (٢٤٠) ملفاً...

مدير المكتب: نحن بحاجة الى (٥) ملاكات اضافية بوظيفة كاملة!

* العديد من الحالات الاجتماعية التي تستدعي العلاج لا يتم فتح ملفات لها ومعالجتها بسبب... الضغط وقلة الوقت والميزانيات! * المسنون محرومون من حقوق وخدمات لأنهم لا يستحقون مخصصات «تكملة الدخل»! *

* تقرير: سهيل قبلان *

● الواقع الاقتصادي والاجتماعي القائم في الدولة، هو تحصيل حاصل سياسة جوهرها الأساسي اغناء الأغنياء وافقار الفقراء. فالدولة غنية بمواردها، لكن المشكلة في توزيع الأموال والمجالات والأهداف والأغراض التي تصرف فيها الأموال. وتكفي الاشارة الى ان حوالي (٧٠٪) من ميزانية الدولة، يذهب لأغراض العسكرة والجيش والاستيطان والتسلح، لندرك مدى الغبن اللاحق بباقي مجالات الحياة، من صحة وتعليم ورفاه وعمل وغير ذلك.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد فتحت الشرطة في عام (١٩٩٣) حوالي (٢٢) الف ملف في منطقة الجليل فقط، ضد شبان في قضايا مختلفة، من سرقات واجرام واغتصاب وعنف ومخدرات ونصب واحتيال وغير ذلك.

ولو القينا نظرة على مخصصات مكاتب الخدمات الاجتماعية لمواجهة هذه الاوضاع ومعالجة هذه المشاكل، لوجدناها تكاد لا تذكر امام الاحتياجات اللازمة والقائمة، وخاصة في الوسط العربي.

في عام (١٩٩٢) افتتح مكتب مستقل للخدمات الاجتماعية في قرية بيت جن، اي بعد اكثر من (٤٠) سنة على قيام الدولة واكثر من (٣٠) سنة على قيام السلطة المحلية في القرية. وقبل عام (١٩٩٢) كان المكتب تابعا وجزءا من مجمع منطقي لقرى منطقة عكا. وفي عام (١٩٩٠) انتقل المكتب من المجمع المنطقي الى مجمع لوائي في البقيعة، يضم القرى العربية الدرزية في الشمال. ومع تعمق الوعي واحتداد القضايا والمشاكل الاجتماعية، كبرت الحاجة لمكتب خدمات اجتماعية مستقل. وكان في المكتب قبل استقلاله ملاك ونصف الملاك لأكثر من سبعة آلاف نسمة في القرية. واليوم يوجد في المكتب اربعة ملاكات ونصف الملاك مصادق عليها.

مدير المكتب، العامل الاجتماعي نزيه دبور يقول: «يعالج المكتب (٢٤٠) ملفا. ولضيق وقت العاملين الاجتماعيين هناك عدة توجهات لا نستطيع فتح ملفات لأصحابها، الا في حالات خاصة وبحسب حدة المشكلة، رغم تراكم القضايا والعمل. وهناك عائلات بحاجة الى مساعدات لم تتوجه الى المكتب. ونحن بحاجة اليوم الى (٥) ملاكات اضافية بوظيفة كاملة، لنستطيع معالجة القضايا كما يجب وللتغلب على الضغط القائم في العمل».

نزيه دبور

* «الاتحاد»: وهل توجهتم الى الوزارة للمطالبة بملاكات اضافية وماذا كان الرد؟

- نزيه: «طالبنا بزيادة عدد الملاكات ونأمل ان توافق وزارة العمل والرفاه على طلبنا. وكانت الحجة في عام (١٩٩٤) انه لا توجد ملاكات أو ميزانيات مصادق عليها».

* «الاتحاد»: وما هي أهم القضايا والمشاكل التي يعالجها المكتب؟

- نزيه: «المشاكل عديدة، ومن أهمها قضية المسنين. ومع ان هناك قانون الخدمات الصحية الذي يفرض على الدولة توفير مساعدة بيتية لكل مسن لا يستطيع القيام بواجباته اليومية، رفضت طلبات عدد كبير من



المسنين بحجة انهم لا يستحقون، وذلك بسبب التأمين الوطني، حيث يرسل ممرضا لفحص المسنين ومدى قدراتهم الجسدية. وعلى سبيل المثال يطلب المرض من النساء القيام بعدة أعمال كالدخول الى الحمامات، فترفض ان يرافقها المرض الى الحمام من منطلقات دينية والعادات والتقاليد. وبذلك يرفض طلبها للمساعدة».

* «الاتحاد»: ولماذا لا يرسلون ممرضات؟

– نزيه: «لقد طالبنا بارسال ممرضات ولم يرسلوا. وهناك تشدد في شروط الحصول على مساعدة اكثر مما كان سابقا، وذلك لرفض الطلب. وميزانيات المكتب محدودة. لذلك، لا نستطيع تقديم المساعدات اللازمة الا في اطار الامكانيات الضئيلة جدا».

* «الاتحاد»: وما هو عدد المسنين في القرية، وعدد المحتاجين خاصة؟

– نزيه: «في القرية (٣٠٠) عائلة فيها (٤٥٠) مسنا ومسنة يشكلون حوالي (٦٪) من أهالي القرية. وهناك (١٤٠) مسنا ومسنة بحاجة الى مساعدات. ويتقاضى المسنون مخصصات من التأمين تختلف من مسن الى آخر. وهناك مسنون لا تزال الأرض مسجلة بأسمائهم، الأمر الذي يحرمهم من الحصول على مخصصات تكملة الدخل، مع انهم لا يستعملون الأرض ولا يستطيعون العمل. وقسم منهم تنازل لابنائه عن الأرض، ومن الأولاد من لم يدفع الضرائب أو نقل الملكية، وبذلك يحرم المسن من حقوق كثيرة لأنه لا يحصل على تكملة الدخل. ومن الحقوق مخصصات تدفئة وتنزيلات في ضرائب «الأرنونا» وغير ذلك. وبهذا الصدد وجهنا رسائل عديدة الى المسؤولين لكن دون جدوى».

* «الاتحاد»: وبذلك لم يحصل المسنون على مساعدات؟

– نزيه: «المكتب لم يقف مكتوف الأيدي. فقرر التوجه الى عدد من الهيئات والجمعيات طالبا التبرع لتأمين مخصصات التدفئة على الأقل. فتوجهنا الى جمعية «شعب واحد، شعب جميل» التي توجهت الى لجنة عمال شركة الكهرباء، فقدموا مساعدة سخية عبارة عن (٧٥) لحافا و(٤٠) مدفأة. وتوجهنا الى جريدة «جروزلم بوست»، فتبرعت بثلاثين مدفأة ثمن الواحدة (٣٥٠) شيكلا. وبهذا وفرنا مساعدة لكل مسن محتاج ظلمته قوانين التأمين الوطني».

* «الاتحاد»: لو طلبنا رسم صورة للأوضاع الاجتماعية في القرية، من فقر وبطالة ومخدرات ومستوى المعيشة والعنف في العائلة وغير ذلك، فما هو الوضع؟

– نزيه: «المشاكل متنوعة. في القرية هناك (٩١٩) عاملا بأجرة، بلغ الدخل المتوسط السنوي للعامل (٢٨٢١) شيكلا. وهناك (٤٥٧) عاملة بأجرة بلغ الدخل المتوسط السنوي للعاملة (٨٣٣) شيكلا، الأمر الذي يدل على مدى الاستغلال للعاملات وخاصة في مصانع النسيج، فيما يبلغ متوسط الدخل السنوي للعامل الواحد في الدولة (٣٤٦١) شيكلا وللعاملة (١٧٧٤) شيكلا. والمعطيات المذكورة هي من عام (٩٢). من هنا يمكن معرفة مستوى الحياة والمعيشة في القرية. وبالطبع، هناك عائلات تتقاضى اكثر من المتوسط المذكور وعائلات كثيرة تتقاضى أقل. ومعروف للمكتب عن عائلات كثيرة لا تصل الى الحد الأدنى للأجور وهي كثيرة الأولاد. وهناك قضايا العنف في العائلة. ومعظم المشاكل هنا تحل داخل العائلات بواسطة تدخل الأقارب او رجال الدين. وعدد الشكاوى التي تصل الى الشرطة قليل. وهناك عدد من قضايا العنف نعالجها. اما بالنسبة للمخدرات فهي غير محسوسة في القرية، تقريبا. هناك (٧) اشخاص يتعاطون ويعالجون. ويبدو ان التشدد من قبل الأهالي في القرية وموقف رجال الدين والقاء الحرمان الديني والاجتماعي على كل من يتعاطى المخدرات او يتاجر بها له مفعوله الايجابي. وبالنسبة للشباب الذين يتسكعون في الشوارع، هناك عامل اجتماعي خاص بالشباب المتسكعين وعددهم (٤٧) شابا، قسم منهم تركوا المدرسة في جيل مبكر وقسم يعالج لمنع تدهوره. وتقدم لهم العلاجات كوقاية لمنع الخطر. ومن تلك العلاجات، لقاءات اسبوعية ورحلات وفعاليات رياضية وادخالهم الى أطر علاجية وتوفير فرص عمل لهم، في مشروع «مشغل صديق»، والمكتب يساهم في تمويل جزء من رواتب عدد من المحتاجين».



* معرض لتنسيق الزهور *

* «الاتحاد»: هناك نقص في الملاكات يؤثر على العمل. وما هو وضع الميزانيات المعطاة حيال الاحتياجات ومقارنة مع الوسط اليهودي؟

– نزيه: «الميزانيات المعطاة هي حسب قرارات وزارة العمل والرفاه الاجتماعي وليست حسب الفئات والقضايا في كل مكتب. وتعطى حسب خطة عمل سنوية للمكتب. والميزانيات المعطاة تغطي قسما بسيطا من الاحتياجات. والفرق شاسع جدا بين ما يعطى للوسط اليهودي وما يعطى لنا. ونحن نحارب من أجل الحصول على حصة اكبر من الكعكة بينما الوسط اليهودي يحصل على الحصة الأكبر من الكعكة. والمشكلة ان الميزانيات كانت قليلة والزيادات المعطاة على ضوئها قليلة، خاصة ان الوعي للمشاكل يزداد وتزداد الشكاوى والترجهات للمكتب. وهناك بند في الميزانية للحاجات الخاصة، يصرف على سفريات وعلاجات «الديالزا» والأشعة و«الفيزيوترابيا» وتقديم مساعدات لعائلات محتاجة لشراء بعض الحاجيات. وكانت الميزانية المعطاة لهذا البند (٣١) الف شيكل في عام (١٩٩٤) بالكاد تكفي لسد مصروفات سفر المرضى المحتاجين «للديالزا» ولتصوير الأشعة. ونحن بحاجة لأكثر من مئة الف شيكل في هذا البند لتسكيت الاوجاع فقط. ويوميا نرفض طلبات للمساعدة لقلة الميزانيات».

* «الاتحاد»: كيف تؤثر الأوضاع الاجتماعية القائمة، وخاصة الاقتصادية والازدحام في الغرف، على تحصيل الطلاب في المدرسة؟

– نزيه: «نعرف بوجود عائلات كثيرة تعتاش على مداخيل هي تحت الحد الأدنى للأجور، وهي كثيرة الاولاد، فيها عدد كبير من الاولاد الموهوبين، لكن تحصيلاتهم المدرسية متدنية بسبب الاوضاع التي يعيشونها. فهناك (١٢) نفرا في غرفة واحدة. وقد قرر المكتب اعطاء مرشد شخصي لتلك العائلات وهو شاب جامعي، يعمل لتقوية الشخصية، ويخصص لكل عائلة اربع ساعات اسبوعيا. ووضعنا خطة لاقامة ناد علاجي لتلك العائلات، مع مركز مهني وعامل اجتماعي، نتمنى ان توافق الوزارة على ذلك».

* «الاتحاد»: وما هي الفعاليات التي يقوم بها المكتب؟

– نزيه: «الفعاليات عديدة ومتنوعة وفي اطار الامكانيات القائمة. ومنها: * هناك فرقة من الأزواج الشابة بدون اولاد، تقدم لهم برامج اجتماعية وثقافية وترفيهية، شارك عشرة ازواج في مخيم اقامه المكتب لهم بهدف مساعدتهم نفسيا والتغلب على الاوضاع وكيفية مواجهة المشكلة ولغرس الأمل فيهم * فرقة أرامل وامهات كثيرات الاولاد، يقام لهن مخيم سنوي لأربعة ايام يشتمل على محاضرات ورحلات ترفيهية * تقديم مساعدات مادية لعائلات محتاجة لشراء الحاجيات الأساسية للبيت والمساهمة في شراء أجهزة اساسية. وارسال مرشدات لتنظيم العائلة والمساعدة في شراء اجهزة طبية للمحتاجين * مساعدة المعوقين، ففي القرية نحو (٣٠) معوقا. قسم منهم في جيل التعليم الالزامي يتعلمون في صف خاص. هناك (٣) معوقين اوضاعهم صعبة يداومون في مدرسة خاصة في كفرسميع. وقسم يعمل في مصنع خاص في الرامة وفق قدراتهم. وقسم في مؤسسات خارج القرية * تقديم مساعدات للذين يعانون من ضعف في النظر، حيث نساهم في جزء من أثمان شراء نظارات طبية ولوازم اخرى للنظر. وهناك اربعة اشخاص لهم مساعدات ومرافقات لتسيير امورهم الحياتية. وهناك مشاريع أخرى كأسبوع المسن ويوم المرأة العالمي واسبوع الكتاب واسبوع المرأة وغير ذلك».

* «الاتحاد»: وما هي المشاريع المستقبلية؟

– نزيه: «مشاريعنا كثيرة، منها اقامة مركز رفاه يضم مركزا للتأهيل المهني للمعوقين، ووفق عليه مبدئيا من قبل الوزارة. ويضم ايضا قسما للخدمات الاجتماعية ونوادي علاجية وشبابية ونسائية. وعيادة لطب الاسنان. والميزانية التي ستخصص للقسم ستصرف في تشغيل طبيب اسنان من قبل مكتب الخدمات الاجتماعية، يعمل ساعات معينة في اليوم لمساعدة العائلات التي في ضائقة، فقط. واقامة مركز تأهيل للمعوقين جسديا وعددهم نحو (٨٠) شخصا. وقد بوشر في بناء مركز للمسنين. وطالبنا باقامة (٧) حضانات تخدم (٥٠) طفلا. وحاليا نرسل لحضانة «نعمت» (٥) اطفال من جيل عدة أشهر حتى ثلاث سنوات، وذلك بسبب الاوضاع في العائلة، خاصة العائلات المهدومة او وجود الزوجين خارج البيت او ان الزوج في العمل وهو أرمل، او ان زوجته خارج البيت جراء خلاف عائلي».

* «الاتحاد»: وكيف علاقتكم مع المجلس المحلي؟

– نزيه: «المجلس المحلي مسؤول عن المكتب. وحتى الآن لم يرفض لنا اي طلب قدمناه للحصول على المساعدات لتنفيذ نشاطات عامة وجماهيرية. ويدفع المجلس المحلي اجرة الدور المستأجرة كنادي المسنين ومكتب الخدمات الاجتماعية نفسه».

ويضم مكتب الخدمات الاجتماعية مركزا نسائيا تركزه الآنسة عفيفة ابو حية التي قالت ردا على سؤال: افتتح المركز في عام (١٩٩٣)، ويقوم بعدة نشاطات وفعاليات تهدف الى تعميق الوعي عند النساء وللتأكيد على دور المرأة في المجتمع وانها عضو اساسي وركن هام من أركانه ولاخراج المرأة من الفراغ وسجن البيت.

وتهدف فعاليات المركز ايضا الى ضمان مردود للمرأة، من خلال دخولها في معترك العمل. وينظم المركز عدة دورات متنوعة ويقدم المحاضرات في كل المجالات بهدف التثقيف. بالاضافة الى القيام برحلات وزيارات لمراكز نسائية في قرى أخرى وعقد ندوات للتأكيد على ان التعليم والعمل هما العامل الأساسي في تقدم المجتمع والتأكيد على انسانية المرأة واستقلاليتها وانها ليست ضلعا قاصرا وتابعا.

وكان آخر نشاط للمركز قبل اسبوعين هو تنظيم معرض للزهور. ويعكف حاليا على اصدار مجلة بأقلام فتيات، للتأكيد على مؤهلات وقدرات النساء.

* فتيات من بيت جن في لقاء مع فتيات من ابو سنان في اطار تبادل الزيارات *

أصحاب الاراضي المُطالَبون بدفع مبالغ طائلة تصل الى مئات آلاف الشواقل:

ضريبة الاملاك الحالية - اسلوب جديد لمصادرة اراضينا!

* بعض المواطنين اصحاب الاراضي الموروثة مطالبون بدفع مئات آلاف الشواقل سنويا، لا يستطيع دفع هذه المبالغ فتتراكم مع الفوائد والغرامات، وعندها يأتون بحجز الارض والبيوت وغيرها! * مطالبة اعضاء الكنيست العرب ولجنة المتابعة العليا باتخاذ اجراءات كفاحية عينية لمواجهة هذه الضريبة! *

● تقرير: احمد حمدي ●

■ ضريبة الاملاك تشغل بال الكثيرين من اصحاب الاراضي العرب، وخاصة من بينهم اولئك الذين ورثوا الأرض عن ابائهم واجدادهم حتى اصبحت شغلهم الشاغل. مبالغ كبيرة وخيالية تطالبهم مكاتب ضريبة الاملاك بدفعها تصل احيانا الى عشرات، بل مئات، الوف الشواقل! ضريبة سنوية تجبى ونسبتها ٢.٥٪ من قيمة الارض.. اي، في عملية حسابية بسيطة، ان صاحب الأرض يدفع ثمن ارضه خلال مدة (٢٥) سنة.

انها مصادرة من نوع آخر فرضتها الحكومة على اصحاب الأراضي من السكان العرب في البلاد. والأغلبية العظمى من اصحاب الاراضي لا يستطيعون دفع هذه الضريبة. ثم ان هذه الارقام الخيالية تضاف عليها الفوائد والغرامات وتتراكم الديون لتصبح، بعد سنوات، مئات الالوف من الشواقل. عندها يجبر صاحب الارض على ان يخسر ارضه او يجبر على بيعها لسد الديون المتراكمة! وعند بيعها تفرض ضريبة اخرى تسمى «ضريبة التحسين». فمن يملك، مثلا، قطعة ارض موروثة مساحتها خمسة دونمات يدفع ما قيمته (٢٠) الف شيكل سنويا. فكيف يمكن ان يدفع هذا المبلغ ودخله السنوي الاجمالي يقارب المبلغ المطلوب؟ وكل مالك ارض لا يدفع المبالغ المطلوبة منه يحجز على حسابه في البنك او على اثاث البيت او على سيارته. او يحجزون على الأرض ذاتها في دائرة الطابو ويكون باستطاعتها بيعها بالمزاد العلني.

الملاكون العرب يخافون على ارضهم. فما ذنبهم سوى انهم ورثوا الأرض عن ابائهم واجدادهم ليبنوا عليها لأولادهم واحفادهم وليس لأهداف تجارية؟ اننا نجد هذه الاراضي بأغلبيتها مزروعة بالزيتون الرومي وهي مستغلة لأهداف زراعية. ان الفلاح والملاك العربي بحاجة الى مساندة لكي يحمي ارضه من الضياع.

وعلى سيارته وعلى بيته. يخمنون الأرض على كيفهم ويجبون (٢.٥٪) من قيمتها ونحن لا نستطيع دفع المبالغ الخيالية التي يطالبوننا بها. ولذلك، فهي تتراكم وتزداد مع الفوائد. وخلال سنوات طويلة لا نستطيع دفع هذه المبالغ. وحتى لو استطعت بيع الأرض فهذا معناه انهم يريدون تشليحنا الارض وتعذيبنا لسنوات طويلة. لذلك، اتوجه الى المسؤولين الحكوميين لايجاد حل عادل. نحن لا نتهرب من دفع ضرائب معقولة، خاصة وانني اتقاضى شهريا مبلغ (١٤٠٠) شيكل فقط. انها قضية ملتهبة. لا يستطيع احد ان يحمي ارضه. انا واخوتي مطالبون اليوم، بدفع مبلغ مليون شيكل للضريبة على (١٠٠) دونم نملكها. انها مصيبة!

السيد ماهر بحوث يملك بضعة دونمات من الأراضي المزروعة بزيتون الرومي المغروس منذ مئات السنين، موروثة عن ابيه. وهو مطالب اليوم بدفع مبالغ تقدر بعشرات الوف الشواقل. يقول ان هذه الارض «ليست للتجارة، بل لأولادي كي يبنوا عليها مستقبلا. وان ما يطالبوننا به سنويا يصل الى اكثر من دخلي. وخلال هذا الشهر وصلتني تبليغات جديدة وتبين لي انهم رفعوا نسبة تخمين الأرض بالمقارنة مع السنة الماضية بأكثر من (٥٠٪)! ويضيف ان هذه الضريبة بدأت في سنة ١٩٧٠ وان اي صاحب ارض دفع خلال هذه المدة كما هو مطلوب منه يكون قد دفع ثمن ارضه. «ولكنني لا اعتقد ان اي شخص دفع المبالغ المطلوبة»! ويقول: لقد اجتمعنا مع وزيري المالية، السابق والحالي وشرحنا قضيتنا. ووزير المالية الجديد حول قضيتنا الى مفوض ضريبة الدخل ومدير عام ضريبة الأملاك في القدس. ولكن كل ذلك ترجم الى كلام في الهواء، ولم نستفد شيئا من هذه الاجتماعات. واعضاء الكنيست العرب ايضا سعوا وعملوا لايجاد حل لهذه المشكلة وتقدموا بمشاريع قوانين بهدف المعالجة. وقد نجحت بالقراءة التمهيدية ولكنني لا اظن انها ستنجح في القراءتين الثانية

العربية. دائرة الضريبة تخمن ثمن الارض حسب هواها وعندها لا يستطيع المالك دفع الضريبة فتتكدس حتى يصبح من المستحيل دفعها. وعندها يحجزون عليها او على البيت او على السيارة. فاذن، بعد سنوات تطير الأرض وتبقى الديون ديونا! واضاف: لقد فاوضنا دائرة الضريبة فوافقوا معنا في السنة الماضية على تقدير سعر الدونم الواحد بـ (٧٥) الف شيكل وعلى تخفيض مبلغ (٣٠) الف شيكل عن كل دونم للملاك الواحد. وعندئذ يبقى ثمن الدونم (٤٥) الف شيكل. بينما هذه السنة رفعوا تخمين الدونم الى (١٢٠) الف شيكل وخفضوا (٥٠) الف شيكل فكانت النتيجة انهم ضحكوا علينا وزادوا ربحهم! وحسب رأيي، فان الحل الوحيد هو اتخاذ اجراءات نضالية كفاحية وتنظيم مظاهرات حتى لو احوجت اعلان اضراب عام للجماهير العربية!

ويقول السيد نعوم: لقد طلبت من اعضاء الكنيست العرب، بصفتي المسؤول عن هذه اللجنة، تنظيم مظاهرة امام مكتب رئيس الحكومة. ونحن مستعدون لتجنيد المئات، بل الآلاف، من المتضررين من هذه الضريبة للتظاهر. ولكنني لم استلم ردا حتى الآن. ويجب ان يكون العمل متكاملا بين المواطنين واعضاء الكنيست العرب ورؤساء المجالس المحلية العربية وكل انصار هذه القضية لعمل نضالي سريع.

اما السيد سليم جعفري فيقول: املك دونمين ونصف الدونم من الارض



* ابراهيم صليبا * — * ماهر بحوث * — * أنيس حداد * — * ابراهيم نعوم * — * سليم جعفري * — * الشيخ يوسف خنيفس *

وعلى اثر وصول فواتير الضرائب بارقام خيالية تنادى اصحاب الأراضي في كل بلدة وقرية عربية فأسسوا اللجان الشعبية لحماية اراضيهم وقاموا خلال سنوات مضت بمقارعة مكاتب الضريبة وعقدوا الاجتماعات واللقاءات مع المسؤولين الحكوميين واعضاء الكنيست العرب، وخاصة اعضاء الكنيست الجبهويين، الذين تقدموا بمشاريع قوانين لمعالجة المشكلة، وتم اقرارها بالقراءة التمهيدية. لكن الامتحان يبقى في اقرارها بالقراءتين الثانية والثالثة.

ان مشكلة ضريبة الارنونا هي من اهم، بل اهم المشاكل التي تواجه المواطن العربي اليوم، اذ ان هذه الضريبة اصبحت تهدف الى مصادرة الارض وانتزاعها من اصحابها العرب. اذن، ماذا يستطيع ان يفعل الملاك العربي وهو يشاهد امام عينيه الارض تطير من بين يديه ولا يستطيع ان يفعل شيئا؟ دائرة الضريبة تخمن الارض على كيفها وتجبي ضريبة خيالية. فكثير من الفلاحين الملاكين العرب اعترضوا على تخمينات اراضيهم والتي وصل سعر الدونم الواحد بموجبها الى (١٠٠) الف دولار.

ويسأل المواطنون: اين دور لجنة المتابعة للجماهير العربية في البلاد في تبني هذه القضية والعمل على اثارتها على اعلى المستويات واتخاذ اجراءات نضالية لمنع تشليح المواطن العربي ارضه؟ هل ستبقى هذه القضية هامشية لدى متخذي القرارات النضالية في الوسط العربي ام انه آن الأوان لاثارتها على اعلى المستويات لكي نحافظ على ما تبقى لنا من ارض في هذه البلاد؟ تلك الكلمات تدور في بال كل مالك ارض يسهر على حمايتها. وهو يرددها صبح مساء: الارض تناديكم لحمايتها من مصادرة جديدة!

وقد التقينا عددا من المواطنين الشفاعمريين الملاكين المتضررين جراء هذه الضريبة المجحفة.

يقول السيد ابراهيم صليبا: يطالبونني بمبلغ (٢٧٠) الف شيكل. لقد ورثت عن ابي ثلاثين دونما لاولادي واحفادي وليس لهدف التجارة. وجميع هذه الدونمات مشجرة ومقسمة على جميع اولادي. بل انهم يطالبونني ايضا بدفع ضريبة عن مساحة الشوارع في الأرض. اخي راجح حجزوا على ارضه

والثالثة. وللأسف، اولها وانا الخسر: الكل متصر معنا. هذه الضريبة هدفها تشليحنا ارضنا. وهذه الضريبة تقع على كاهل المواطن العربي والجميع صامت دون ان يحرك ساكنا. ماذا نفعل؟ اننا ننتظر معجزة من السماء.

ويقول السيد بحوث: شمعون بيرس وعد في احد الاجتماعات الانتخابية بان يحل القضية على اساس ان الارض الموروثة معفية من الضريبة. لكن الانتخابات انتهت وطار الوعد. اما الحل فهو تخفيض نسبة الضريبة المفروضة من (٢.٥٪) الى (٠.٥٪) فقط.

ويقول السيد انيس نجيب حداد: املك (٤) دونمات من الارض ويطالبونني اليوم بدفع عشرات الوف الشواقل، مع انني دفعت للضريبة واغلقت الحساب لغاية سنة ١٩٩١ بعد ان حجزوا علي. ولكنهم كل سنة يطالبونني بدفع مبلغ عشرين الف شيكل. واذا استمر الوضع على هذا المنوال، مع الفوائد فساكون بعد عدة سنوات قد دفعت ثمن ارضي! ويضيف: هذه الضريبة مجحفة. ما ذنبي في انني ورثت الارض عن ابي لأورثها لابنائي واحفادي؟ انني اعيش على اعصابي بشكل دائم وافكر، ليل نهار، كيف ادفع الضريبة. وانا اتساءل، هل هذه القضية لا تساوي يوم اضراب؟ حسب رأيي، على المسؤولين في الوسط العربي ان يفكروا ويضغطوا على المسؤولين الحكوميين واذا احرج الأمر الى اعلان اضراب فلن نتردد عن ذلك.

ويقول السيد ابراهيم نعوم، رئيس لجنة العمل ولجنة المتابعة لقضايا ضريبة الاملاك انه خلال المدة الأخيرة عقدت عدة اجتماعات في القدس بحضور اعضاء الكنيست العرب وحصلنا على تأكيد منهم بالضغط على رئيس الحكومة لاجراء تعديل على قانون الضريبة. ووعدوا قائلين: في حالة رفض طلبنا هذا فلن نصوت على ميزانية الدولة! واوضحنا لاعضاء الكنيست العرب بأن المشكلة هي قضية الأراضي المشمولة في منطقة التنظيم والتي تجبى عنها ضريبة نسبتها (٢.٥٪) من قيمتها. ولكن للأسف، فان اعضاء الكنيست العرب عندما يطالبون يضمون مطالبهم بشأن كل مشاكل الجماهير العربية مرة واحدة، ولا يأخذون قضية عينية واحدة مثل الضريبة، مثلا. ان هذه القضية مستعصية وملتهبة وهي تعني مصادرة من نوع جديد للأراضي

الخضراء، معترف بها من قبل البلدية مع شهادة مهندس البلدية بأنها ارض زراعية ليست للبناء، ورغم ذلك يطالبونني بدفع مبلغ (٢٥٠٠) شيكل سنويا. هذا المبلغ كبير جدا ولا استطيع دفعه خاصة وانني اتلقى مخصصات عجز مرضي بنسبة (١٠٠٪) من التأمين الوطني. لذلك، اتوجه الى المسؤولين في الحكومة العمل على رحمة المواطنين لأن هذه الضريبة اجحاف بحق الفلاح العربي. واطالب بتخفيض الضريبة من نسبة (٢.٥٪) الى (١٪) وبأن يكون تخمين الأرض حسب الأصول. «واقول ان كثيرا من مصائب الناس، مثل الامراض وخاصة امراض القلب، ناتجة عن التفكير بهذه الضريبة»!

اما الشيخ يوسف خنيفس، نائب رئيس بلدية شفاعمرو سابقا، فيقول ان هذه الضريبة «هي اجحاف من اولها الى آخرها وهي موجهة بالذات للمواطنين العرب لأن ذنبهم الوحيد انهم ورثوا الارض عن ابائهم. ونحن نورثها لابنائنا واحفادنا ليس لهدف التجارة. فعيب ان يأخذوا ضرائب على ارض موروثة. كل شخص يشتري ارضا بهدف التجارة يمكن مطالبته بدفع ضريبة اما الموروثة فلا يجوز ان ندفع ضريبة عنها. لقد حجزوا على معاشي ولا نعرف اين سيصل الوضع من كثرة الضرائب التي تصلنا! واضاف: «والله لو لم تكن لي ارض لكنت مرتاحا اكثر»! ويضيف الشيخ خنيفس: اتوجه الى اعضاء الكنيست العرب وجميع المسؤولين الحكوميين بالعمل حالا وباسرع وقت ممكن لالغاء هذه الضريبة المجحفة والظالمة بحق المواطنين العرب.

اما السيد جهاد سعد فيقول: والدي، رحمه الله، عانى الكثير من هذه الضريبة وكان نشيطا في العمل من اجل الغائها. اليوم نحن مطالبون بمبالغ خيالية لا نستطيع دفعها، بل لا نستطيع حتى دفع قسم منها. ان هذه الضريبة المفروضة على الجماهير العربية، واذكر بشكل خاص، الملاكين في القرى العربية الدرزية هي عبء كبير عليهم واعرف بأنه تجري مطالبتهم بدفع مبالغ لا يستوعبها العقل. فالواجب اليوم هو العمل من اجل توحيد صفوفنا على جميع المستويات لخوض معركة ضد هذه الضريبة الظالمة الهادفة الى تشليحنا ارضنا!

● فشة خلق - يكتبها: يوسف فرح ●

من مثل هذا الغيم لا يسقط مطر

من المسؤول عن تربية «الذهنية الشعبية»؟
وسائل الاعلام؟
العائلة؟
جهاز التعليم والمربون؟
المؤسسات الدينية ورجال الدين؟.
قد يكون هؤلاء جميعا.

وقد يكونون جميعا ايضا ينمّون في شرقنا ذلك النوع من التفكير، الذي لا يعترف بما توصل اليه العلم من تفسير لتلك الكوارث الطبيعية التي تختار لها اماكن بعينها، لتفرغ فيها سمها، واذا بأتونها الناري او المائي او الترابي يلتهم الآلاف من بني البشر في «رمشة عين».

ان «للذهنية الشعبية» التي ملكناها طيلة مئات او آلاف السنين تفسيرا «اسهل وادق اصدق» من ريختر وجهازه! قد «يدعي» هذا الجهاز معرفة هول الكارثة، ولكن انّى له ان يعرف اسبابها!

الى ما قبل ايام، كانت اجهزة التلفزيون الملونة التي لم نخترعها نحن، ما زالت تنقل الى بيوتنا تلك المشاهد المأساوية التي خلفها ذلك الزلزال الغادر في مدينة كوبي اليابانية الآمنة.

تزاحم في مخيلتي حشد من المخترعات التي «اغرقنا» بها الشعب الياباني.. ارتال من سيارات السوبارو ونيسان وتويوتا و... و... اكداس من اجهزة السوني والسانيو، اكوام من ساعات الاوريئت... السايكو.. والسفن الفضائية والفنادق الطائرة...

لا ادري لماذا؟ لكني تخيلت الحكام العرب في جلسات تتصاعد منها سحب من دخان البخور، ايديهم ممدودة، راحاتهم مفتوحة، ونساء غامضات في لباس غامض «يقرأن»:

«امامك طريق واسع مفروش بالزنابق والنوارس»...

ازحت المشهدين من مخيلتي كي اتساءل:

«أليس حراما ان يصيب هذا الشعب هذا الذي يصيبه»؟

واذا بصوت «الذهنية الشعبية» يتولى الاجابة:

«أبصر شو عاملين»!

«عدت اتساءل: اليابان عملت، وامريكا لم تعمل!!»

وتكاد «الذهنية الشعبية» تؤكد قرب سقوط واشنطن، وتمهيدا لذلك جاء زلزال لوس انجلوس قبل فترة ليرفع آلاف القتلى!

«الطمأنينة»! اذن كل هؤلاء يستحقون ما يحل بهم!

اذن من يستحق الخير؟ ولماذا ينساك هذا الخير عمن يستحقه؟!

«الذهنية الشعبية» تعرف، فما ادراك ان هؤلاء لن يفعلوا مستقبلا ما يوجب توقيع الكوارث بهم!!

قد يكون دوامنا بحاجة الى مثل هذه الذهنية لاستمرار «عملها»، وربما يحتاجها كذلك اولئك الذين يتخذون من التفسيرات الغيبية ما يعينهم على تثبيت اقدامهم على الكراسي التي يقعدونها.

المتدينون كشف عسر المتدينون اليهود مقتل الـ (١٨١) جنديا في «عرق «بيت ليد»؟

«لأن رابين دنّس قدسية السبت»!

وكيف يفسر ذلك الطرف الآخر؟

ربما يعزون ذلك الى انها ارادة الله!

وبهذا المنطق فالقاتل يجب ان يقتل، والمقتول يجب ان يُقتل ولا يملك احدهما غير ذلك!

وكيف يكون الله مع القاتل ومع المقتول في آن!

ربما جواب ذلك موجود ايضا لدى «الذهنية الشعبية». لكن، اذا كان استمرار تعداتنا الفارغة يتطلب مثل هذا الوقود الغيبي ليواصل مسيرته، فهل بنفس هذا الوقود تسير عجلات الدول؟

اليابان على غير دين الله، ولا اريد البحث هنا عن المسؤول عن ذلك. ولكن هذه البلاد، وبرغم منزلتها اللادينية، تسارع الى الدفع بسخاء، مالا وطعاما وادوية وملابس وخياما، حيث تقع مصيبة في هذه «القرية» الكبيرة. واظن اليابانيين دفعوا لشعبنا ما لم يدفعه كثيرون من الحكام العرب انفسهم، ولكن يبدو ان لا علاقة بين الامرين!

كان يا ما كان.. كان اتحاد عظيم.. لم يترك دولة عربية الا وساعدها، حتى جاع ابناء ذلك العظيم، فلم يعودوا يجدون ما يقيم اودهم، واذا به، وعندما «يبرك» كالبعير الهرم، «ينفجر» الحكام العرب، لا حسرة وغما، بل ضحكا وشماتة و...

قبل ايام انضم احد الحكام العرب الى دواويننا الشعبية، بعباءته ولفّة رأسه، بعد ان ربط قافلة جماله خارج الديوان، انه العقيد قائد ثورة الفاتح من ايلول في ليبيا!

فلقد اهتدى الى سبب حصول الكارثة في اليابان، انه «انتقام الهي كنا نتوقعه ونطلبه من الله»!

لماذا؟

لان اليابان «سخرت امكانياتها الاقتصادية لخدمة الشيطان»، والمقصود امريكا!

اذن العقيد طلب والله استجاب!

فلماذا لم يطلب توجيه الزلزال الى امريكا مباشرة، وهي ما زالت تفرض عليه «حصارا اداريا» منذ سنوات!

ولماذا لا يطلب ذلك لاسرائيل على الاقل؟!!

ام ان للقدرة الالهية حدودا لا تستطيع تجاوزها! والى متى تستمر هذه الذهنية تتحكم في شرقنا العربي، وهل تتغير في المدى المنظور؟

لا اعتقد ذلك، ففي شرقنا نجد واحدا يبقر وعشرة...

● مرزوق حلبي ●

بين مقاومة الاحتلال والتطبع بأخلاقياته!

● عاب علينا البعض تسمية عملية «بيت ليد» بـ «المجزرة» بادعاء انها استهدفت جنودا في جيش احتلال مع الاستدراك - من هذا البعض - انه لم يستسغ ما حدث ولا يعتقد انه يفيد القضية الفلسطينية في شيء، الا انني لا زلت على اعتقاد جازم بأن عملية «بيت ليد» هي مجزرة اذا ما نظرنا اليها بمعايير انسانية شاملة وحتى بمعايير ثورية. ونحن اذ نصر على هذه التسمية لا ننظر الى ما حدث كفعل يندرج في اطار صراع قومي ووفق قوانينه فحسب. ولو كان الامر كذلك فكل ما يحدث الآن وكل ما سيحدث في المستقبل شرعي ومبرر!

ان مجزرة «بيت ليد» لم تأت من مقاومة الاحتلال وانما رد فعل على اتفاق اوسلو المنقوص وفي محاولة دموية لاجهاضه وارباك الموقعين عليه. وهي خروج على مسيرة سلمية لم تأخذ كامل فرصتها، بعد. وهي انكفاء، في حركية الثورة الفلسطينية التي تجاوزت مرحلة اثارة ذاتها على الاجندة العالمية.. ولا يمكننا هنا الا ان نراها مندرجة في سلسلة عمليات دموية بشعة طالت العفولة والخضيرة وتل ابيب، استهدفت التأثير السياسي عن طريق القتل الجماعي!

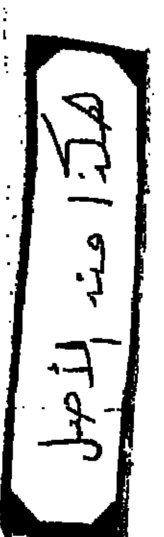
كون الفلسطيني ضحية الاحتلال، وكون المجتمع الفلسطيني مقهورا في مواجهة قاهر - المجتمع الاسرائيلي - لا تعفيهما من استحقاق السؤال الاخلاقي. ولجيز لانفسنا، هنا، الا نتبنى مقولة انه يحق للضحية اعتماد اي وسيلة في مواجهة الجزار. فهي قد تكون مناسبة في هذه المرحلة او تلك، او مجرد ادعاء، ترفعه الضحية لاعفاء نفسها من مهمة الاجابة على السؤال الاخلاقي حول المسموح والممنوع، حول المعقول والعبث. وهذا السؤال ينبغي ان يطرح ليس لاجل القاهر او خشية اثارة غضبه بل لاجل المجتمع الفلسطيني ذاته. فما هو مؤكد بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي في مضمار انعكاس الاحتلال عليه وعلى اخلاقياته اليومية والسياسية، مؤكد بالنسبة للمجتمع الفلسطيني الذي لحقه التشوه في نواح عديدة من حياته بفعل مقاومة الاحتلال وقمعه ومجازره. فالعنف الذي اعتمده الفلسطيني، وبحق، لمواجهة عنف الاحتلال تسرب الى ذهنيته وانطبع ميسما في انماط علاقاته الداخلية. ولا نعدم حالات التمثيل على ذلك. فالمجتمع الاسرائيلي - اليهودي تحديدا - لم يغير معالم الارض الفلسطينية فحسب، بل استطاع، من حيث قصد او لم يقصد، تغيير عالم الانسان الفلسطيني، ايضا! وهنا، في رأينا الطامة الكبرى، ان يطبع القاهر المقهور بصفاته واخلاقياته وانماط قهره ودمويته. بل ان المجتمع الفلسطيني انزلق الى هوة تقديس الارض والغاء الانسان الذي عليها. فمثل ما حدث في «بيت ليد» يلغي الخصم ويلغي الذات، ايضا، لتبقى الايديولوجيا المقدسة! وذلك كحال العروس التي قطعوا رأسها كي تستطيع المرور راكبة حصانها من تحت قنطرة منخفضة!!

ان اعتبارنا ما جرى في «بيت ليد» مجزرة لا يقلل في شيء من ادانتنا المطلقة للاحتلال وكل افرازاته ولا ينقلنا الى معسكره. ونحن اذ نفعل فلا نساوي بين ضحية وجزارها ولا ننتقص قطعا من عدالة القضية الفلسطينية والحق الفلسطيني وانما من اقتناعنا باستحالة المفاضلة بين حيوات الناس، وان كانوا جنودا، ومن ضرورة الالتفات الى الذات والمؤول دون تجردها من انسانيتها تحت شعار قضية عادلة لا سيما والمجتمع الفلسطيني الآن، اقرب من اي وقت مضى من حلمه في الحرية والاستقلال وبناء كيانه! ويقلقني ان تنزلق الثورة الفلسطينية الى ما انزلقت اليه الثورة الجزائرية كما نشهده اليوم! فالاحتلال الفرنسي (الذي دام حوالي القرن) زرع قبل رحيله عن الارض الجزائرية بذور ما نشهده اليوم. وينبغي عدم السماح للاحتلال الاسرائيلي ان يزرع في المجتمع الفلسطيني بذور ما سنشهده غدا من عنف دموي ومن نزعة لحسم كل صغيرة وكبيرة بالقهر والاستبداد والقتل!

والسؤال الفلسفي الخالد حول جدوى تحقيق هدف عادل بطريقة غير عادلة ينبغي ان يظلّ حدودا لتحرك الفلسطيني في مواجهة قاهره وصوت الضمير في وجدانه وان عظمت معاناته. فاذا فقدت القضية الفلسطينية عدالتها عجزت البندقية عن تحقيق النصر!

● غازي أبو ريا ●

جهنم... גיהנום.. גיא בן הנום



● هناك، في مكان ما، تحت قبة مملكة الشيطان، وفي كهوف الحقد والهمجية، هناك، اجتمعوا، حول طاولة مصنوعة من الاجساد والاطراف الآدمية.. وفوقها مزهرية مليئة بالاشواك ورائحة الموت.. هناك رفع المؤتمرون كأس الدم، وصرخوا: «عاش القتل».

ومهر المؤتمرون تواقيعهم بالدم، وتحالفوا هناك في كهف مظلم.

ومع الافاعي، اجتمع نفر من الفلسطينيين ونفر من الاسرائيليين، وقرروا تنغيص حياة كل نفس تسكن ما بين البحر والنهر. وكتبوا على باب كهفهم: «هنا مقر الادارة الالهية لفلسطين/ ארץ - ישראל».

وخرجوا من نور ظلامهم، ينشرون الحقد هنا وهناك، يوسوسون، يحرّضون على القتل، يفرحون حين يبكي الآخرون. ويحقدون كلما رأوا طفلا يبتسم.

زمرة من البشر هنا وهناك، ويسخرون من القادة والشعب، يحظون بتسامح من عرفات هناك، وينعمون بدلال رابين هنا. ورغم ذلك، يحملون كل الاوراق التي وقعها رابين وعرفات ويبولون عليها، ويتم ايداعها في جماجم الضحايا هناك وهنا، ويواصل رابين وصاحبه عرفات عملية التدليل، الاول باسم التعددية والدمقراطية والثاني باسم القانون.

اما وظيفة الناس من البحر الى النهر، فان يموتوا، ويقدموا الدموع والاحزان على مائدة «حزب الشيطان الموحّد من الشعبين».

«حزب الشيطان الموحد» يقرر لنا ويعلن، ان الحياة تافهة، والموت على فراش وثير يجلب العار، اما الموت «الاسلامي» الحقيقي، فان تموت وتأخذ معك اكثر ما امكن من الاسرائيليين.. والموت عند الطرف اليهودي المتطرف.. هو ذلك الموت حسب معادلة باروخ غولدشتاين «عليه السلام».

وبعض الشعب، بين البحر والنهر ومن الصنفين ذلك العربي وذاك اليهودي، ينساق بغباء كامل نحو جعجعات دينية ووطنية وقومية، يسرقون شابا من امه وابيه، ويرسلونه الى الموت مليون قطعة، ثم يبشرون الوالدين البسيطين ان ولدهما سافر الى النعيم وهو الآن ينعم بقصر في الجنة وحوله (٧٠) من الحور العين...

ورفاقهم هنا، يسرقون الارض الفلسطينية، ويصرخون: انقذوا ارض الله التي وعدنا بها، خلصوها من الكفرة الاغيار.. ويرقصون على الميت الذي يتجوّل هناك..

نفرٌ مجنون من الطرفين، لا، بل الجنون اكثر اتزانا وحكمة.. والاصح ان نرجع الى القول بأن هذا النفر لا يقاس بالمعايير الانسانية او الحيوانية.. لانه مراحل متطورة للشيطان.

والحقيقة تكشف حقد «حزب الشيطان الموحّد» على شقائق النعمان وشجرة البرتقال ونبتة الزعتر.. فاذا كان الانتحاري يبغي كنس الاحتلال من ارضه.. فلماذا ينفجر في العفولة وتل ابيب و«بيت ليد». فالمنطق ان ينفجر في المستوطنين الذين يتجولون على ارضه التي يدعي الاستشهاد في سبيلها.. فلماذا يقتل رجالا داخل اسرائيل وحوالي ٦٠٪ منهم يؤيدون الانسحاب من بلاده..

ولماذا يحرقون هنا صور عرفات؟.. وعرفات يستنكر الجريمة ويتمنى لو انها لم تكن.. لكن اتباع «حزب الشيطان الموحد» هنا، يجدون في عرفات عدوا لانه يبغي السلام. ويعشقون رفاقهم في غزة.. والذين يدعمون نظرياتهم.. وهناك في غزة يكره «حزب الشيطان الموحد» بطرفه الفلسطيني كل اليسار الاسرائيلي.. ويكره معه الوسط.. ويعشق اليمين.. لان اليمين الاسرائيلي وكلما كان اكثر تطرفا، تزداد معه فائدة اليمين الفلسطيني.

ونحن الناس، نسلك كل المسارب الضيقة والملتوية، نموت شيئا فشيئا، ويضحك من سهولة انقيادنا قطيع الاغنام الذي فوقنا. ولا نتمرد على شيء، لا نثور من اجل اولادنا، بل نقدمهم ضحايا لحزب الشيطان المجتمع في كهف الحقد.

وهناك في القدس، ذلك الوادي باسم "גיא בן הנום" وبالعربية «وادي بن هنوم».. حيث كان الناس قبل ثلاثة آلاف عام، يقذفون اولادهم في الوادي بعد اشعال النار وذلك للتقرب من الآلهة.. وحين يقذفون الولد القربان الى النار، يصرخون ويضربون الطبول، حتى تعلو اصوات الطبول على صراخ الابن المحترق. ومن هنا جاءت كلمة "גיהנום" بالعبرية والتي تعني جهنم بالعربية..

وها هم يقذفون اولادنا في وادي بن هنوم. ويصرخون: «الله اكبر.. עם ישראל חי».

فمتى نصحو من سكرنا، ونهدم الكهف على رأس الافعى.. وننقذ الشعبين والازهار.. ويبقى لون السماء ازرق.

[أ. د. أحمد سعد]

«تحيّرنا يا قرعة من وين نبوسك»

● حكومة اسرائيل، في موقفها ونهجها السياسي الممارس، من العملية السلمية والاهداف الإستراتيجية التي تتوخاها من ورائها، وتخطط لها بشكل منهجي، ينطبق عليها المثل الشعبي، «تحيرنا يا قرعة من وين نبوسك». وهذا يتجسد في التناقض الصارخ بين الاحتمالات التي تطلّ من البوابة التاريخية للعملية السلمية لبناء قواعد الامن والاستقرار والسلام العادل والشامل، والتي بدأت تترجم على ارض الواقع بالاعتراف عربيا باسرائيل وبداية تطبيع العلاقات معها، وبين المسلك المنهجي لاسرائيل لتشويه جسم ومضمون السلام العادل الذي يهدد اليوم باغتيال العملية السلمية. ويبرز ذلك من خلال حالة الجمود والتردي التي تواجهها العملية السلمية منذ عدة اشهر بسبب لجوء حكومة رابين الى احابيل المماطلة والتأتأة الضبابية في تحديد الموقف الواضح من ثوابت الحقوق المشروعة، الفلسطينية والسورية واللبنانية، وبهدف بلورة الظروف والوقت المناسب للانتقاص من هذه الحقوق.

واثبتت خبرة التطور التاريخي ان الجمود يتناقض مع قوانين التطور وحركته الدائمة. فلا امن ولا استقرار ولا سلام في ظل الجمود، فالجمود لا يولّد سوى عوامل تحضير العبوات الناسفة المعدة للانفجار. وهذا ما يشهده مسار التطور على ساحة العلاقات الاسرائيلية - الفلسطينية من تناقض بين متطلبات التسوية السلمية وبين الموقف المنهجي الاسرائيلي الممارس وما يولد من انفجارات مثل انتفاضة الارض التي ابدناها والعمل الدموي المغامر في «بيت ليد» الذي ادنّاه.

حذرنا في السابق ونحذر اليوم حكومة رابين من ان مخططات الانتقاص من الثوابت المشروعة للشعب الفلسطيني بالتحرر والسيادة، في اطار دولة مستقلة عاصمتها القدس العربية لن تؤدي الى الخروج من دائرة الدم وبناء، وضمان قواعد الامن والاستقرار لا في المناطق المحتلة ولا في اسرائيل نفسها. ونؤكد هذا اليوم في اعقاب الجريمة الجديدة في «بيت ليد» والرد الحكومي الانتقامي والعبر غير الحكيمة وغير الواقعية التي يستنتجها رابين والعديد من ارباب الاحتلال. فلتخطي حقيقة ان وجود الاحتلال هو منبع الاعمال المغامرة والجرائم، تلجأ حكومة رابين الى معادلة مقلوبة مضمونها ان الامن يضمن السلام والاستقرار وليس العكس، كما اثبت تاريخ الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني حيث لا امن ولا استقرار بدون سلام عادل. ومن هذا المنظور للعقلية الكولونيالية التوسعية يمكن تقييم مضمون وابعاد ما طرحه رئيس الحكومة، رابين، في اعقاب المجزرة في «بيت ليد». فلضمان الامن والاستقرار في اسرائيل دعا رابين الى الانفصال التام بين الشعبين، الاسرائيلي والفلسطيني. ففي «بيانه الخاص» امام عدسة التلفزيون مساء الاثنين (١/٢٣) اكد: «الفلسطينيون في المناطق جسم يختلف عنا، دينيا - سياسيا - قوميا. هذا الطريق يجب ان يؤدي الى الانفصال، وليس وفقا لخطوط الحدود التي كانت قبل الـ ٦٧. القدس ستبقى موحدة الى الابد. حدود امن اسرائيل توضع على نهر الاردن»!!

ان البعد الحقيقي لهذا الموقف، ليس ابدا الفصل بين الشعبين على اساس دولتين مستقلتين واحدة بجانب الاخرى كأساس متين لضمان الامن والاستقرار ووفقا لقرارات الشرعية الدولية، وغروب ليل الاحتلال الدامس. فالفصل وفق مقياس الحدود الآمنة يعني حسب المفهوم الكولونيالي لرابين وحكومته تحويل المناطق المحتلة الى جيتوات في كنتونات منعزلة بعضها عن بعض «بحواجز امنية» من المستوطنات الكولونيالية واذرع الاحتلال «الامنية». وفي الافق الاستراتيجي ابان الحل الثابت يكون الاحتلال قد اوجد العقبات والموانع الموضوعية لقيام دولة فلسطين مستقلة وجهز الظروف لبديل مسخ بشكل حكم ذاتي يكون عمليا بشكل محمية تابعة لاسرائيل «يحرسها» الجيش الاسرائيلي حتى حدود نهر الاردن بعد ان يقتطع القدس وضواحيها والمستوطنات الكولونيالية ويجعلها جزءا عضويا من السيادة الاقليمية الاسرائيلية!

ان مثل هذا التوجه اذا ما استمر فلن يؤدي سوى الى نحر العملية السلمية ومواصلة نزيف حمام دم الصراع وانعاش وتصعيد قوة وجرائم القوى المغامرة واليمينية في اسرائيل وعلى الساحة الفلسطينية والى دفع المنطقة باتجاه التحضير الجنوني لحرب مدمرة. لا امن ولا استقرار ولا حقن للدماء بدون انجاز السلام العادل الشامل. ولا سلام ثابت بدون الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية. لا خيار امام حكومة اسرائيل الا الاسراع في انجاز التسوية العادلة او تجهيز الكفن لمصيرها وتمهيد الطريق لعودة قوى اليمين المغامرة الى السلطة لدفن العملية السلمية واحتضان الكارثة.

[عبد المجيد حمدان]

القدرة على المفاضلة.. القدرة على الاختيار

● نستخلص ان تقرير ضمان حق المواطن في استبدال رأس السلطة، الرئيس والحكومة، عبر صناديق الاقتراع، هو حجر الزاوية، الاساس، للعملية الانتخابية، للدمقراطية. ومصادرة هذا الحق لا تعني غير اقامة وترسيخ دعائم الديكتاتورية، قيل ما قيل عن نظافة الانتخابات ونزاهتها، او حيدة القائمين عليها.. او تدخلهم فيها...

وضمان هذا الحق الاساس لا يعني فقط انتقال السلطة من يد الى يد، من حزب او ائتلاف احزاب الى اخر، بسهولة ويسر، ودون توترات اجتماعية، ونفي احتمالات الانفجارات الشعبية، بل يعني ايضا ضمان حياة حزبية وسياسية نظيفة فاعلة ومتطورة.

اذ اظنه من نافل القول التذكير بأن غياب المنافسة، وغياب شبح المحاسبة، لخطر الاستبدال، يخلق، الى جانب البيروقراطية والفساد، بلادة ذهنية، وتحجرا في البرامج، وفي وسائل واساليب تطبيقها..

وفي المقابل فان ضمان حق الاستبدال يشكل حافزا قويا لدى الاحزاب، والافراد المتنخبين على اعادة النظر في البرامج وتطويرها، وفي وسائل التنفيذ واساليب الاداء وتحسينها.. اذ تبقى باستمرار اعين القادة مركزة ومنصبة على مزاج جمهورها ومصالحه.. وتعمل على التجاوب معها وارضائها.. غير ذلك يعني افساح المجال امام الذي يتقدم للجمهور ببرامج تعده بالافضل، وتركز على نواقص الحاكم.. وتشير الى طرق تجاوزها.. الخ.

وغير ذلك، ومن اجل انتخابات تكون هي الدمقراطية، يولد بداهة مجموعة من الحقوق والواجبات المتبادلة.

ان قدرة المواطن على المفاضلة بين المرشحين والبرامج، وبالتالي تشكيل قدرته على الاختيار تتوقف على مقدار ما حصل عليه من معرفة. وبالتالي فان ضمان حق المواطن في المعرفة مسألة في غاية الاهمية. وللحصول على هذا الحق يترجب توفر قوانين وضمانات لتطبيق هذه القوانين بخصوص تدفق المعلومات، او ضمان حق صاحبة الجلالة في الوصول الى المعلومات، وبالتالي نقلها وايصالها لصاحب الشأن الذي هو المواطن.

وعليه فان اية قيود توضع على عمل صاحبة الجلالة - الصحافة - كانت ما كانت صحة الذرائع لوضعها، تحد من تدفق المعلومات لصاحب الشأن الذي هو المواطن، وبالتالي تحد من قدرته على المفاضلة فالاختيار في الانتخابات، وترك شوائب اكيدا على نظافة ونزاهة العملية الانتخابية.

وضمان حق الاستخدام المتساوي لوسائل نقل المعلومات للمواطن، وفي مقدمتها وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، من قبل الاحزاب، لعرض برامجها، والتعريف بقادتها وعرض كفاءاتهم المتنوعة لادارة السلطة المقبلة.. مثله مثل حق صاحبة الجلالة في الوصول الى مصادر المعلومات، وضمان تدفق ايصالها للمواطن، في خلق القدرة عند المواطن على المفاضلة فالقرار والاختيار.

ولا اظن الا ان القارئ، على اطلاع على واقع وجود تعددية سياسية في بلدان مجاورة، منتسبين لنادي النظم غير الدمقراطية. وعلى تثبيت حق استبدال السلطة عبر صناديق الاقتراع، في دساتيرها. لكن ملكية الدولة لوسائل الاعلام، بالتحديد للتلفزيون والاذاعة، حيث تتحول في الواقع الى ملكية خاصة للسلطة القائمة، يفرغ هذا الحق من مضمونه، فالحزب او الائتلاف الحاكم، وباستخدامه الكثيف لهذه الوسائل وعلى مدى سنوات عمر الدورة البرلمانية، يعبث بوعي المواطن.. ويزرع في عقله الكثير من الاوهام حول دوره في رعاية مصالحه، وتمنيته بما ليس لديه القدرة ولا الاستعداد لتنفيذه.. والسماح في فترة الدعاية الانتخابية باستخدام شبه متساو لهذه الوسائل من قبل الاحزاب المتنافسة، لبضع ساعات، واحيانا تقصر الى بضع دقائق، واحيانا الى لا شيء بالمرة، بدعوى المحافظة على حيادية هذه الاجهزة الفعالة، كل ذلك لا يوفر للمواطن فرصة حقيقية للمفاضلة. ثم للتقرير الصائب فالاختيار الصائب.. وهو ان شئنا الدقة.. احد وسائل تزوير الارادة الشعبية، او تطبيق لمبدأ الانتخابات تقود الى الديكتاتورية، بدلا عن تعريف الدمقراطية هي الانتخابات والانتخابات هي الدمقراطية.

ولا اعتقد ان هناك حاجة لاعادة التذكير بأن انتخابات نظيفة تعني نظافة في العمل اللاحق للجهاز المنتخب، ان الانتخابات هي الخطوة الاولى، وان كانت الاساس والمقرر، لعمل فاعل، في التشريع، في مراقبة ومحاسبة جهاز السلطة.. وبالتالي جعله دائم الانتباه لعمله، ودائم الحذر من امكانية ازالته، في حال ارتكاب خطأ، او عدم نجاعة فعل، بموجب هذا الانزال.. والامثلة امامنا على ذلك وعكسه كثيرة..

واذا اضفنا لما سبق القول بضرورة توفر ضمانات، وحقوق، اخرى كثيرة للمواطن لتمكينه من المفاضلة فالتقرير والاختيار، بينها ضمان حقه في تعبير حر، وقوانين تضمن دعاية نظيفة، وضمان الحق في الطعن، وبالتالي الازالة من تأكدت صحة الطعون فيه، وضمان حيادية اجهزة الدولة، وقضاء مستقل قادر على تطبيق القانون، واحقاق العدالة بدون خوف او تدخل.. وغير ذلك كثير.. يمكننا بالفعل الوصول الى حكم الشعب لنفسه بنفسه ولتكون الانتخابات هي الدمقراطية.. وليست طريقا لتثبيت الديكتاتورية واضفاء الشرعية على الاستبداد.

وباختصار يمكن القول بأن العملية الانتخابية ليست على الصورة المبسطة التي يجري تقديمها بها.. والاشادة بحرية الاقتراع، والاجواء الودية، والتنافس الشريف.. انها تتكون من كم ضخم من العناصر الضرورية ابسطها وآخرها، تلك العمليات التي تنتهي بوصول المواطن الى الصندوق والتأشير الى جانب اسمه، او تلطيخ ابهامه بالحبر.. ثم وسائل الفرز. واتقان العملية الاخيرة، بافتراض حيدة اجهزة السلطة، ونزاهة وبراءة القائمين على الصناديق، وعلى الفرز، ليست هي كل المسألة. والاشادة بحرية الاقتراع، والاجواء الودية، والتنافس الشريف.. والنزاهة.. ومثيلاتها من الاوصاف والمسميات التي لا تدلل على ان الانتخابات هي الدمقراطية.. فهي، وكما تشير الوقائع حولنا، قد تحمل البرهان على سيادة النقيض اي الديكتاتورية، او على اقل تقدير، الدمقراطية المنقوصة..

وعلى اي حال فنحن شعب لم نعرف هذه التجربة. بمعنى آخر لم نمارسها، على الاقل من هم منا تحت سن الخامسة والاربعين. اذ كان لمن هم اكبر سنا تجربة مع الانتخابات البرلمانية الاردنية، وان كانت لنا بالانتخابات الرئاسية والبرلمانية معرفة نظرية، سمعية ومشاهداتية.. اكتسبناها مما يحدث عند الجيران وبينهم اسرائيل.

وفي المقابل كانت لنا تجربة فيما هو ادنى قليلا.. في انتخابات النقابات، عمالية ومهنية، مجالس طلبة، الجمعيات الخيرية.. النوادي.. وقبلها البلديات والمجالس القروية.

[بشير البرغوثي]

التسبيج لا يصنع سلاما او امنا وما يصنعهما هو الاعتراف لشعبنا بحقوقه!

● الحديث عن الفصل بين الضفة الغربية واسرائيل خرج من دائرة التساؤلات الاكاديمية الى دائرة التخطيط الرسمي بعد ان شرح رابين مفهومه له، ووضع له الحدود، العلامات.

وبغض النظر عن مدى قرب او بعد حدود الفصل تلك عن حدود عام ١٩٦٧، فان رابين قد حرص على ان يعتبرها مجرد حدود فنية امنية هدفها منع «تسلل» الفلسطينيين الى اسرائيل ولا تعني بحال من الاحوال اي مغزى سياسي. وزيادة في تأكيد هذا المعنى عاد رئيس الحكومة الاسرائيلية للقول بأن نهر الاردن هو الحد الامني لاسرائيل دون اعتبار لحقيقة ان الحدود مع الاردن قد تغير وضعها بعد معاهدة الصلح الاردنية الاسرائيلية.

وغني عن القول ان هناك حدودا اخرى تحيط بالمستوطنات داخل الضفة الغربية تقررها فعالية الاجهزة العاملة على مصادرة الاراضي وتوسيع المستوطنات.

وبعد هذه الحدود «الامنية» يكون من غير الصعب تصور خارطة الضفة الغربية ووضع الشعب الفلسطيني بداخلها. انها ستكون عبارة عن سجن كبير ولكنه مجزأ الى اقفاص وشباك.

ومن الغريب ان يظهر اولئك الذين يخططون لمثل هذه الخارطة ان تنفيذها سيوفر الامن لاسرائيل، حتى لو ارسلت الفلسطينيين الى جهنم.

ان المفصلة الاساس لدى الساسة الاسرائيليين هي انهم يعتبرون «الامن» مسألة فنية يمكن بالاجهزة الالكترونية والكلاب البوليسية والجنود المدربين المحافظة عليه ووضع شعب كامل تحت السيطرة الكاملة!

وهم يتهربون من جوهر المشكلة وهو الموقف من حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على ارضه المحتلة منذ عام ١٩٦٧، ومن قرارات الشرعية الدولية القاضية بانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧، ومن عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة حسب قرار مجلس الامن الدولي ٢٤٢.

وبدلا من الاعتراف بكل ما تقدم يضعون الشعب الفلسطيني تحت بند «الخطر الامني» على اسرائيل، باسم ذلك يتعاملون معه كما لو كان مجرد مجموعة من «الوحوش الكاسرة» التي يجب ان توضع في الاقفاص وتروض بالحديد والنار والكرباج.

وعلى الرغم من ان المجلس المركزي الفلسطيني وقيادة منظمة التحرير وهيئاتها المختلفة قد اقرت مبدأ التصالح مع اسرائيل ودخلت في مفاوضات معها لقيت، في البداية، ترحيبا واسعا من الشعب الفلسطيني لم يضعفه الا مواقف حكومة اسرائيل المتعنتة، الا ان مسلك قوات الاحتلال وسياستها لم يتغير تجاه الجماهير الفلسطينية وحتى تجاه السلطة التي اقرت ونفذت الاتفاقيات معهم. وهو موقف يتسم بالغطرسة والتعالي وتعمد التضييق والقمع والسلوك المتغطرس!

ولكن لخيبة املهم لم تنل هذه الاجراءات الاحتلالية من كبرياء الشعب الفلسطيني وصموده واصراره على النضال من اجل حقوقه الجدير بها مثلما هي جديرة بذلك كل شعوب العالم بمن فيها الشعب الاسرائيلي نفسه.

وقد آن الاوان، بعد كل المآسي المزروعة على طريق هذا الصراع الطويل لان يدرك حكام اسرائيل الحقيقة البسيطة التي ادركها، ولو بعد وقت، حكام حكموا الغير بقوة السلاح، ان اقصر الطرق لاقامة علاقات امن وسلام هي الاعتراف بحق تقرير المصير، والانسحاب من ارض الشعب الفلسطيني المحتلة بما فيها القدس الشرقية.

ان سياسة وضع هذا الشعب في اقفاص والتسبيج عليه في وطنه الذي يتقلص يوميا بالمصادرة والاستيطان ليست طريق الامن والسلام. ولحكام اسرائيل نقول: اسألوا من سبقكم ممن كانوا على شاكلتكم اين تبخرت احلامهم في آسيا وافريقيا!

ماذا يخبىء لنا المستقبل؟!

أمراض ستختفي وأخرى ستظهر دون ان نعرفها من قبل

* يتوقع الباحثون ان الشكوى ستتضاعف من مرض الايدز والتهاب الكبد من نوع (سي) * بسبب تلوث البيئة الرهيب ستظهر امراض لم نعرفها في السابق * الأمل الوحيد في التخفيف من خطورة تلك الأمراض بالكشف عنها مبكرا لأن الطب سيصل الى مرحلة يستطيع فيها التعرف على المرض قبل ظهوره حتى لدى الجنين *

* طبيب المستقبل: الاحتراز واستباق الامراض *

● تقف البحوث الطبية امام منعطف تاريخي. فهناك من يقول بأننا سنشهد تحولا جذريا في وسائل العلاج المستخدمة لمقاومة الأمراض المعروفة والتي ستظهر لاحقا. ومع ان الباحثين في المختبرات الطبية والأطباء وعلماء الصيدلة حققوا خطوات جبارة.. الا أن احدا منهم لم يدّع ان المستقبل سيحمل الشفاء لجميع الأمراض.

ان المراقبة الطبية الدائمة لاشخاص حاملي الأمراض التي لم تظهر بعد، تتيح للاخصائيين امكانية الحد من خطورتها من خلال المعالجة الهادفة لتجنيب المريض الموت المبكر. فاذا ما تم الكشف المبكر عن المرض يمكن معالجة «الجينات» غير الطبيعية المسؤولة عن حدوث الأمراض المميتة. وهو ما يعرف بالعلاج «الجيني» الذي سيعتمد عليه اعتمادا رئيسيا في المستقبل.

اما الأمراض التي يعتقد انه سيكون لها حضور في المستقبل، فهي تختلف عما نعرفه اليوم من امراض شائعة. فعلى صعيد أمراض الأطفال مثلا، يتوقع ان نشهد انحسارا لمجموعة منها بعد انتشار اللقاح وتطبيقه في سن مبكرة، ومعرفة واثقة لأسباب هذه الأمراض وطرق معالجتها.

فالمعروف ان امراض التهاب النخاع الشوكي الذي يصيب الأطفال ما زال طاغيا على الساحة الطبية. الا ان خطورته بدأت في التقلص بفضل سيطرة الطب على عناصره. ومن المنتظر ان يشهد الطب في هذا المجال خلال السنوات القليلة المقبلة تطورا نوعيا في معالجة هذا الالتهاب، الأمر الذي سيخفف ليس من خطورته فحسب بل ومن كثافة انتشاره. وهذا يعني انخفاض نسبة وفيات الأطفال في انحاء كثيرة من العالم.

مقابل ذلك ستتضاعف الشكوى من امراض عرفت مؤخرا ولم يتم السيطرة عليها او التخفيف من حدتها كمرض الايدز والتهاب الكبد من النوع (سي)... ويتوقع ان يكونا الشغل الشاغل للطب في المستقبل لأن وسائل العلاج الجذرية لم تتوفر بعد.. كلقاح يقي من الاصابة بهما.

ان تطور «الطب الجيني» سيتيح للأخصائي امكانية التعرف على المرض قبل ظهوره لدى كل شخص، بالغا كان أم طفلا، وحتى جنينا في احشاء أمه. ويبقى السؤال: ما هي مقومات هذا الطب؟!

اما الجواب فهو كما يعتقد الباحثون: اولا - الكشف مسبقا عن الامراض الناتجة عن خلل في وظيفة «الجينات» والتي بمعظمها خطرة، كمرض التهاب العضلات والنخاع الشوكي وغيرهما. ثانيا - اكتشاف «الجينات» التي تحمل امراضا شائعة كالسرطان والسكري. فهذان تدخل في عوامل ظهورهما عناصر وراثية واخرى متعلقة بطريقة التغذية والبيئة.

وهكذا يمكننا القول، استنادا الى الواقع الطبي الملموس، ان نوع الأمراض التي سيعاني منها انسان المستقبل ستختلف عما نشهده في الوقت الراهن. اي ان بعض الأمراض الشائعة اليوم ستختفي او تكاد في المستقبل تاركة المكان لأمراض جديدة، بدأ الطب في الكشف عن بعضها، وبعضها الآخر ما زال مجهولا.

وماذا عن وسائل وطرق العلاج؟! وهنا يجزم الاخصائيون بحدوث هذا التطور ايضا.

مع ذلك لا بد من الاشارة الى تطور وسائل الطب في المستقبل. وقد لا يرافقه تطور مماثل على مستوى أدوات عمل الطب المباشر. لكن هذا لا يعني ان مستوى التطبيب سينخفض، وأن معالجة الأمراض ستفقد فعاليتها، مع العلم ان مهمة طبيب المستقبل لن تكون سهلة. لأنه سيجد لزاما عليه متابعة العلاج لمريضه لفترة زمنية غير محددة ومرافقته في مختلف مراحل العلاج.

كذلك يتوقع الطب تزايد عدد الاصابات بمرض «الزهيمر» في المستقبل. وهو نتيجة شبه حتمية لمعاناة طويلة من امراض القلب والشرايين. وهذا المرض سيحتل مركز الصدارة في الأبحاث، لأن الطب ما زال يجهل الكثير عنه.

ومن الأمراض الممكن ظهورها تلك المرتبطة بتطور الحياة الحديثة والناتجة عن التلوث الرهيب الذي يشهده العالم. ولا يزال الوقت مبكرا جدا للحديث عما يمكن ان يفعله الطب ازاء هذه الامراض الطارئة او التي ستطرأ في القرن الـ ٢١.

تدشين العيادة الجديدة لصندوق المرضى في كوكب ابو الهيجا..

«وزارة الصحة ستقيم خمسين محطة جديدة لرعاية الأم والطفل»!

* أعلن نائب وزير الصحة نواف مصالحة ان وزارة الصحة تنوي اقامة خمسين محطة لرعاية الأم والطفل في الوسط العربي.

وقد جاء اعلانه هذا في اثناء حفل تدشين العيادة الجديدة لصندوق المرضى العام في كوكب ابو الهيجا هذا الأسبوع.

والبناء الجديد وجاء ليحل محل البناء القديم الذي لم يلب حاجات المرضى - كما ذكرت الناطقة الرسمية بلسان صندوق المرضى في منطقتي حيفا والجليل الغربي، يوخي باؤور.

واضافة الى وسائل التحديث في العيادة الجديدة، التي يشرف عليها الطبيب محمد دراوشة الذي حصل مؤخرا على جائزة «مدير المنطقة»، فان ادارة صندوق المرضى ستقوم بتزويدها بشبكة حواسيب تمكّن من استقبال نتائج الفحوصات المخبرية في البريد الالكتروني بدون انتظار.

هذا، وحسب القانون فانه من المتوقع ان تنتقل محطات رعاية الأم والطفل خلال ثلاث سنوات للعمل ضمن صناديق المرضى.

للمرة الأولى في الوسط العربي:

متطوعات عربيات اجتزن دورة خاصة ويقدمن محاضرات حول «الحياة العائلية السليمة»

* المتطوعات اجتزن دورة تأهيلية خاصة نظمتها «جمعية الجليل للبحوث والخدمات الصحية» بالاشتراك مع «لوبي النساء» *

* تقرير: حياة محمد *
(مكتب «الاتحاد» في شفاعمرو)

* اخلاص خطيب *

* صفاء تركي *

* لأول مرة في الوسط العربي تقوم مجموعة متطوعات من نساء وفتيات عربيات تخرجن من دورة تثقيفية اقامتها جمعية الجليل للبحوث والخدمات الصحية ولوبي النساء الاسرائيليات بتدريس موضوع تربوي جديد عن الحياة العائلية السليمة مع تثقيف جنسي.

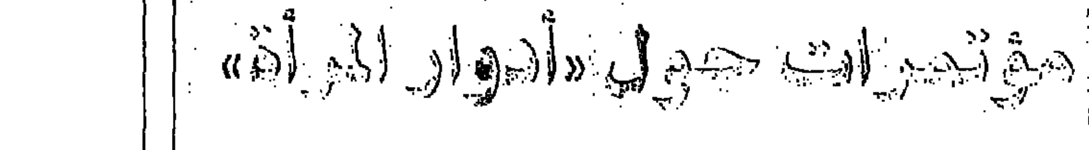
ويدرس هذا الموضوع في هذه الأيام بشكل تطوعي في مدرسة «عمال» في شفاعمرو.

وقد التقينا مع الممرضة اخلاص خطيب، خريجة الدورة والمدرسة في مدرسة «عمال» حول الموضوع فقالت: الحقيقة اننا تأخرنا في تدريس هذا الموضوع الهام في حياتنا الاجتماعية مع معرفتنا انه منذ زمن بعيد يدرس في المدارس اليهودية. ومنذ حوالي شهر قمت بشكل تطوعي بتقديم محاضرات لـ (٢٥) فتاة في مدرسة «عمال» في شفاعمرو. ومن خلال هذا الموضوع ادرسهم عن مرحلة النضوج والمراهقة وتوعية الفتاة لكي تفهم كيف تحمي نفسها من محاولات الاغتصاب والاعتداءات الجنسية، خاصة وان شبابنا وشاباتنا في هذا الجيل يتعرضون لمعلومات غير صحيحة عن الحياة الجنسية من مصادر اباحية تتعارض مع اخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا.

وأضافت خطيب: ومن المواضيع التي ادرسها تبلور الشخصية والزواج المبكر واخطاره الصحية والأيدز والعنف في العائلة وأخطاره وبناء علاقة سليمة بين الشبان والشابات وبين افراد المجتمع عامة من اجل خلق اجيال واعية وناضجة. وكل هذه المواضيع تدرس بالتنسيق مع المستشار التربوي في المدرسة. وألاقي تجاوبا لدى الفتيات للاستماع لهذا الموضوع. وهذا الموضوع يدرس اليوم في كثير من البلدات وفي منطقة شفاعمرو ايضا.

وتضيف اخلاص: ولكن العمل يقتصر على الفتيات فقط، وللأسف لم ننجح حتى الان في تدريس هذا الموضوع للشباب لأن الموضوع مهم لكل شاب في سن المراهقة. وهذا شيء صحي وعلمي ومنطقي ولكن مجتمعنا حتى الآن لم يتقبله. ولكن كلي أمل في المستقبل القريب ان نتغلب على هذه الظاهرة ونشق طريقنا الى الشباب ليحصلوا على توعية جنسية صحيحة وخاصة في هذا الوقت بالذات.

وتقول الطالبة صفاء عادل تركي (شفاعمرو): موضوع التربية لحياة عائلية سليمة والتثقيف الجنسي موضوع هام وضروري لكل فتاة وشاب في الوسط العربي، حيث ينقصنا هذا الشيء. والشاب والفتاة بحاجة ماسة الى هذه المواضيع في جيل المراهقة، لأن التوعية السليمة تمنع الخطر. والشباب والفتيات في هذا الجيل يحصلون على معلومات من مصادر غير موثوق بها ولا يفهمون الأمور بشكل صحيح وهذا النقص يعود على الأهل اولا، ثم على المدارس والمربين حيث اغلب المدارس تعارض هذه المواضيع. فنحن بحاجة الى التوعية الصحيحة من قبل مختصين. وهدفي من المشاركة في هذه الدورة هو التوعية من الناحية الجنسية وأخذ المعلومات من مصادر موثوق بها وتعلم كيفية التعامل مع عائلتي وابنائي في المستقبل بشكل علمي وحضاري ومنطقي، وتعليم الأساليب الصحيحة للحياة.



* يجري حاليا التحضير لعقد مؤتمرات دولية يأتي في مقدمتها المؤتمر العالمي الرابع للمرأة والذي سيعقد في الصين ويناقش اهم القضايا والمشكلات التي تواجه المرأة في انحاء العالم والعمل على ارساء مبدأ المساواة مع الرجل.

وقد تم اختيار رابطة المرأة العربية التي ترئسها د. هدى بدران، مصرية الجنسية، لتكون المنسق الاقليمي للمؤتمر الدولي لذلك فقد تم وضع خطة عن التمييز ضد المرأة وامكانية مشاركتها في السلطة وصنع القرار والآليات الخاصة بتعزيز مركز المرأة في العالم العربي.

وقد اعلنت د. بدران، انه تم تشكيل ثلاث لجان للدراسات والاعلام تضم ابرز الشخصيات النسائية المتخصصة في المجالات العامة.

ومن أهم المؤتمرات التي يجري التحضير لها حاليا، مؤتمر القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة وندوة اليونيسكو للمرأة والاعلام في كندا ومؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية في الدانمارك.

* د. هدى بدران *



النساء في روائدا

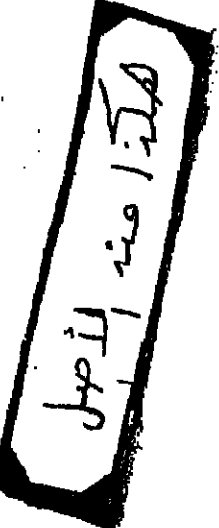
* انهن أكثر ضحايا الحرب الأهلية البشعة، فنساء قبائل «التوتسي» تعرضن للقتل على أيدي قبيلة «الهوتوس»، ليس لسبب سوى التعصب العرقي. اما نساء «الهوتوس» فقد وجدن انفسهن متجمعات في معسكرات اللاجئين في زائير بعد ان اهلكتهن الهجرة الجماعية واصبحن فريسة لمرض الكوليرا الذي أودى بحياة اطفالهن.. واصبحن يعشن اليوم ليحاولن نسيان بشاعة ما عايشته من احداث دامية.

النساء في الجزائر

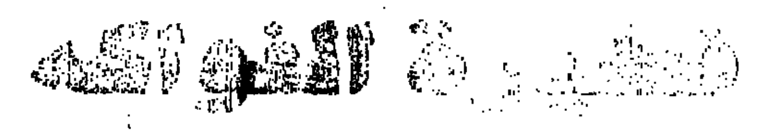
* يواجهن الارهاب بكل شجاعة، فقد نظمن مظاهرة في شوارع الجزائر تدين فيها بالارهاب والتطرف وظهرت منهن كرمز للمقاومة، خالدة سعودي التي أهدر المتطرفون دمها.







... وذات نكهة خاصة



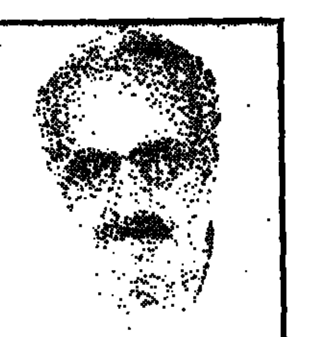
* المقادير:
- ١ وثلاثة ارباع كوب من الدقيق
- ١ وربع كوب سكر
- ١٠٠ غرام من الزبدة (حوالي ٣ ملاعق كبيرة)
- ٣ ملاعق كبيرة من اللوز المطحون
- نصف ثمرة اناناس طازجة او معلبة
- ٣ تفاحات
- ٢ برتقال
- ٢ موز
- ٢ عود قرنفل ناعم
- ١ ملعقة صغيرة قرفة ناعمة.

* الطريقة:
- يقطع الاناناس لقطع رفيعة ويقشر التفاح ويقطع ارباعا او اكثر ويعصر البرتقال ويقطع الموز الى حلقات.
- توضع الفواكه المجهزة في قالب فرن مدهون بالزبدة ويضاف القرنفل وملعقة ونصف الملعقة من السكر وعصير البرتقال، ثم تقلب جميعها.
- يوضع الدقيق مع بقية السكر واللوز والقرفة والزبدة وتقلب حتى تصبح كالعجين.
- يوضع هذا الخليط على الوجه المملوء بالفواكه ثم يزج لمدة ٣٠ دقيقة على نار هادئة ١٨٠.

تقدم فطيرة الفواكه مع كريمة طازجة مخلوطة بقليل من القرفة الناعمة والسكر الناعم.

● علي عاشور ●

من اجل الخروج من دوامة سفك الدماء المتبادل



● نشرت «معريب» يوم الثلاثاء الماضي ان عناصر من اليمين المتطرف ورؤساء المستوطنين حذّرت من ان نشيطي اليمين المتطرف ينوون القيام بعمليات انتقامية ضد العرب، ردا على عملية التفجير الانتحارية في «بيت ليد».

وقالت ان الحديث في المستوطنات التي يتركز فيها اليمين المتطرف يدور حول تنظيم نشطاء «يأخذون القانون بأيديهم»، الامر الذي يخيف - كما قالت - حتى «باروخ مرزل» رئيس حركة «كاخ» الذي قال (في ٩٥/١/٢٣): واخشى ان يقوم احدهم في الايام القليلة القادمة بأعمال متطرفة». واضاف: «لديّ احساس بأن شيئا خطيرا جدا سيحصل انتقاما للحادث ولعجز الحكومة»!

وقال «مرزل» ايضا: «لقد تحدثت مع عدد من الناس. والجو صعب جدا. الناس يدّعون ان السلطة احلّت دم اليهود وان اللغة الوحيدة التي يفهمها هي لغة غولدشتاين (الذي ارتكب مجزرة الحرم الابراهيمي) - واحذّر: اذا استمر سفك الدماء فان احد اليهود يمكن ان يقوم بعمل فظيع».

وفي الوقت نفسه هددت «حماس» (يوم ٩٥/١/٢٣) بانها سترد بعنف على اي اعتداء على افرادها. وكانت، قبل ذلك، قد نوهت بأنها يمكن ان تقوم بعمليات نسف للابنية السكنية في وسط تل ابيب وغيرها.

وجاء في تقرير قدمه رئيس جهاز المخابرات الداخلية في اسرائيل (الشاباك)، يوم الثلاثاء الماضي للجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، ان الوضع الامني في «منطقة الحكم الذاتي» وخاصة في غزة قد ازداد سوءا. واضاف: «ان اعدادا متزايدة من الارهابيين يرغبون في القيام بأعمال انتحارية».

وهكذا.. الارهاب يجر الارهاب!

ويلاحظ ان عمليات التفجير الانتحارية التي تقوم بها «حماس» و«الجهاد الاسلامي»، في داخل اسرائيل، بدأت في اعقاب المذبحة الرهيبة التي ارتكبها «باروخ غولدشتاين»، في الحرم الابراهيمي، في شباط الماضي. فكيف يمكن الخروج من دوامة سفك الدماء المتبادل هذه، المستمرة منذ احتلال اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة قبل ٢٨ عاما؟!

كم من الدماء - من كلا الشعبين - اريقت على مذبح الاحتلال هذا؟!

وكم من الدماء ستراق اذا لم يتفق الشعبان على «حل»؟!

«حلول» كثيرة عرضت وتعرض الآن، ولكن ولا واحد منها يمكن ان يكون حلا.

يمكن اغلاق قطاع غزة اغلاقا محكما وتجويع كل سكانه! يمكن غزو هذا القطاع وذبح كل من يقول: اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله!

يمكن القيام بالمزيد من الاعتقالات وطرد الآلاف من الفلسطينيين او تعليقهم على اعواد المشانق!

يمكن - كما يقترح زعيم «تسومت» رفائيل ايتان - بناء مستوطنة جديدة في قطاع غزة او في الضفة الغربية، مقابل كل اسرائيلي يقتل او يذبح! يمكن نشر آلاف «الحراس» في مختلف انحاء اسرائيل!

يمكن وضع «حارس»، كل عشرة امتار، على طول «حدود الفصل» التي يقترحها رابين والتي تزيد عن ٣٠٠ كيلومتر.

يمكن بناء جدار الكتروني حول الفلسطينيين اعلى من سور برلين!

يمكن.. ويمكن.. ويمكن..

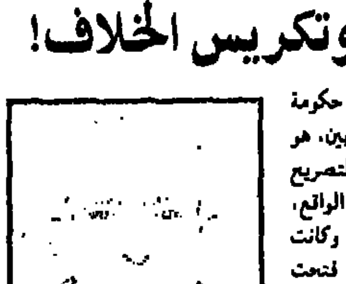
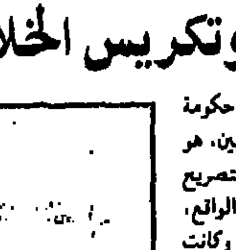
ولكن ماذا ستكون النتيجة سوى القضاء على كل امكانية للسلام مع الفلسطينيين وقطع علاقات اسرائيل مع مصر والاردن والوصول، لا الى «الفصل» الذي يريده رابين، وانما الى ضم الضفة والقطاع الى اسرائيل على اساس الامر الواقع، وتحويل البلاد الى «بعبع» الدولة ثنائية القومية.

لا «حلّ» سوى الحل العادل. فلا يصحّ الا الصحيح. ولا مخرج من «المأزق» الا باقامة الدولة الفلسطينية، ولها قدسها (عاصمة لها) الى جانب اسرائيل، دولة تتمتع بكل مقومات الدولة مثل سائر دول العالم.

هذا هو الحل ولا «حل» آخر سوى الاستمرار في سفك دماء الشعبين.

● محمود ابو شنب ●

المحاور.. وتكريس الخلاف!

● ما يميز رئيس حكومة اسرائيل السيد يتسحاق رابين، هو التناقض التناحري بين التصريح وبين الممارسة على ارض الواقع، بين القول وبين العمل. وكانت اتفاقية اوسلو مناسبة لفتح الابواب المغلقة امام اسرائيل من المحيط الى الخليج، وتزاحمت الانظمة العربية على ابواب اسرائيل تخطب ودها. فسارع رابين للاكثار من الكلام عن السلام وعن «الخبرا الذي سيتدفق» على الانظمة العربية من اسرائيل. وفي الوقت نفسه راح يفكر في كيفية تطبيق المهمة التي تريد الامبريالية الامريكية تطبيقها - وربما كان هناك من يزعجه كلمة «الامبريالية»، فتعالوا نصطلح على تسميتها بالنظام العالمي الجديد - الامريكي.

تدرك الولايات المتحدة جيدا انه اذا كانت الانظمة العربية تطمئن لها وتتعاون معها، فان الشعوب العربية تتلقى بالشك والحذر كل ما يصدر عن الولايات المتحدة تجاه الدول العربية، وذلك بناء على خبرة هذه الشعوب ومعرفتها بأمريكا.

واما اسرائيل، «فدولة صغيرة»، قد يغش حجمها الشعوب العربية، ويغش كلامها المعسول حكام الشعوب العربية وينطلي عليهم، ولن يشكرا في ان هذه الدولة الصغيرة، تعمل على تفسيخ، وترسيخ تفسيخ الانظمة العربية، خدمة للاهداف المشتركة بين اسرائيل والنظام العالمي الامريكي الجديد، وبدأت ذلك ببناء وبانتهاج سياسة المحاور، المجربة في ادامة الانشقاق العربي.

أهون محور واسهله، هو محور اسرائيل - الاردن، الذي راحت اسرائيل تعمل على تعزيزه باجتذاب احدى دول الخليج اليه، والتي استجابت، على ما يبدو، الى هذا الثنائي، ليصبح محورا ثلاثيا.

قبول الاردن بأن يشكل احد اضلاع هذا المثلث تعود اسبابه الى ارتباطه في الاتفاقية مع اسرائيل، التي تنص على توليه الاشراف على الاماكن المقدسة في القدس حيث يدرك الملك ان هذه القضية بالذات تثير ضده ليس الفلسطينيين وحسب، وانما ايضا المملكة السعودية، التي كانت تود ان تحظى بشرف الاشراف على الاماكن المقدسة في القدس لتمسك مناسك الاسلام من اطرافها.

هذا اضافة الى ان الملك اثار حفيظة سوريا باقدامه على سابقة تأجير ارض اردنية محتلة لاسرائيل، التي قد تتمسك بجعلها سابقة تطبقها على الجولان ايضا. ومن الطبيعي ان يتخوف الملك الاردني من انتقام سوري، لذلك رأى ان اقامة محور مع اسرائيل، التي قد يحتمي بها، ضمانة ضد اي انتقام سوري من ناحية، ووساطة باتجاه امريكا تعوضه دعما ماليا بديلا عن الدعم المالي السعودي للاردن، من ناحية اخرى.

واما الدولة الخليجية، وربما ستلحق بها دول خليجية اخرى، فلها اسبابها ايضا في انضمامها الى المحور الاسرائيلي - الاردني، اذ من المعروف ان الامارات الخليجية تتخوف من التسلط السعودي، وهي تعرف ان حكام السعودية يطمعون في اراضي الامارات الغنية بالنفط، ويدركون في الوقت ذاته، ان السعودية اذا قامت باحتلال دول الامارات هذه - وهي تملك القوة لذلك - فان الولايات المتحدة لن تحرك ساكنا، لعلمها بأن السعودية تصب في نهاية المطاف في جيب امريكا. ولهذا، تفضل امارات الخليج اللجوء الى ايران، مثلا، لحمايتها من الاطماع السعودية، وربما كانت هذه الامارات ميالة للمصالحة مع العراق، ولكنها لم تفعل ذلك الى الآن خوفا من السعودية.

كلنا يذكر حكاية الخلاف السعودي واحدى دول الخليج حول واحة البريمي، المنطقة الغنية جدا بالنفط وقيام المملكة السعودية باحتلالها، ولما ثار خلاف بين امارتين حول منطقة تقع بينهما (وكل منطقة هناك غنية بالنفط) عرضت السعودية وساطتها لحل النزاع بين الامارتين، فرفضتا كلتاهما هذه الوساطة، وفضلتا الاحتكام الى محكمة العدل الدولية.

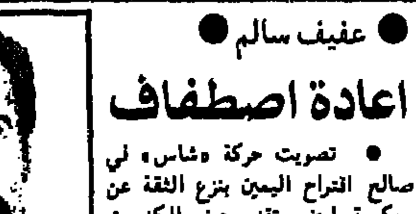
كما تذكر ايضا النزاع الذي نشب مؤخرا بين السعودية واليمن، وقامت السعودية بحشد جيوشها على حدودها مع اليمن، وسبب النزاع، منطقة يمنية غنية بالنفط اكتشفت حديثا، تريد السعودية الاستيلاء عليها بقوة السلاح، وباثارة القبائل اليمنية ضد الحكومة اليمنية، عن طريق رشوة زعماء هذه القبائل.

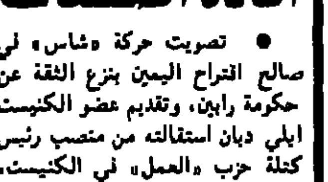
ولما رأت السعودية توجه دول الخليج - عدا الكويت - وتفتيشها عن محاور واطر تنتمي اليها، راحت هي - السعودية - تفتش كذلك عن اطار كهذا، وسنتحدث عن ذلك في مقال لاحق.

واسرائيل، التي عرفت بهذه التناقضات جميعا بالتعاون بين مخابراتها والمخابرات الامريكية، عرفت كيف تستغل هذه التناقضات، وهي تحاول الآن توظيف ذلك لما تعتقد انه في مصلحتها ومصلحة شريكها الامبريالي الامريكي.

● عفيف سالم ●

اعادة اصطفاف





● تصويت حركة «شاس» في صالح اقتراح اليمين بنزع الثقة عن حكومة رابين، وتقديم عضو الكنيست ايلي ديان استقالته من منصب رئيس كتلة حزب «العمل» في الكنيست، وذلك في اعقاب خروجه عما يسمى بـ «قرار الكتلة الاجماعي»، في وقت سابق، وكذا انتقال ليفاني وسريد وبارعام، المعدودين على فئة الحمائم، الى مواقف اكثر القوى صقورية، وموافقتهم على اطلاق ايدي «الشاباك» حرة في اعقاب حادث «بيت ليد». كل هذه التطورات تشير الى بوادر اصطفاف جديد في الخريطة السياسية، سواء على صعيد الحزب الواحد، ام على صعيد التكتلات الحزبية، او الخريطة السياسية بصورة عامة.

ويميل بعض المراقبين الى القول ان الحياة العامة في البلاد تمر في مرحلة عميقة من التأمرك، او اتخاذ النمط الامريكي، وهذا الامر ينسحب، ايضا، على وجود الاحزاب والكتل البرلمانية. وما اقرار قانون انتخاب رئيس الحكومة بصورة مباشرة وشخصية في حينه الا خطوة في تعميق مثل هذا التوجه، توجه الامركة. ويضيف هؤلاء ان الائتلاف الحكومي القائم العمل/ ميرتس بالاضافة الى فلقة من «تسومت» الى جانب الجسم الحاسم يشكل عمليا جبهة حزبية واحدة ضد الاحزاب اليمينية القائمة، والتي انضمت اليها «شاس» في الأونة الاخيرة.

ويقول يتسحاق بن اهرون ان التطورات الاجتماعية والسياسية في البلاد، خاصة في اعقاب فقد حركة «العمل» للهستدروت، ستؤدي الى حدوث انقسامات في حزب «العمل» وكذلك في احزاب اليمين، وذلك بصورة تؤكد بشكل اكبر على القضايا الاجتماعية والاقتصادية.

تجدر الاشارة في هذا الاطار الى ان بعض المحللين الاجتماعيين اعربوا في وقت سابق عن اعتقادهم بأنه بعد احلال السلام بين اسرائيل والدول العربية المحيطة وكذا مع الفلسطينيين ستطرح القضايا الاجتماعية والاقتصادية نفسها على سلم الاولويات بصفتها القضية الاساس. وهذه القضية الاساس بدورها ستؤدي الى احداث اصطفاف جديد وتغيرات عديدة في الخريطة السياسية والحزبية الحالية.

وبطبيعة الحال لا بد من طرح السؤال: اين موقع الجماهير العربية في احتمال مثل هذه المتغيرات المستقبلية؟! وهل تعي القوى السياسية والجماهيرية العاملة بين جماهيرنا العربية الفلسطينية ما يتأتى عن مثل هذه المتغيرات، وهل تعد العدة لمواجهتها؟!

الاجابة على هذه الاسئلة ليست مهمة الصحفيين والمراقبين والعاملين الاجتماعيين، فقط، بل هي مهمة القوى السياسية ذات الاتجاه الجماهيري الواضح ذي الابعاد الفكرية العميقة. ايضا.

واعتقد ان طرح هذا الموضوع، ومجرد الطرح، على بساط النقاش، يستدعي الاهتمام، خاصة ونحن مقدمون على حالة جديدة ووضعية جديدة تقرر فيها الى حد بعيد عملية اعادة الاصطفاف.

مسلسل المضايقات ضد فكتوريا تتمة من ص ٣

الحيوانات وانا اعمل على تراكتور. فطلبت من عصام الذي يعمل في المحددة ان يناولني بطيخة، وكان المدير العام يشاهدنا..».

عصام نصيرات يؤكد ذلك ويقول: «بامكانك ان تسأل كل زميل لنا كيف سيرتنا، وهي على احسن وجه. ولم نقصد ما ادعاه المدير بأننا اردنا سرقة بطيخة، مش عيب، وكم ثمن البطيخة يا ترى! وعلينا الا ننسى بأنها النفاية ولا تؤكل. وانا شخصيا لا احب البطيخ. ولو قصدنا السرقة، كما يدعي المدير، لسرقنا شيئا اثمن واغلى. فكيف بالامكان اتهامنا بمثل هذه التهمة وبعد سنوات الخدمة الطويلة التي تؤكد اخلاصنا وتفانينا في العمل».

ويقول عدنان مصاروة: «بعد ان ناولني عصام البطيخة واتجهت بها نحو الحيوانات لحقني المدير وسألني: «عصام اعطاك البطيخة؟» قلت: نعم. فأنت شاهدت ذلك، وانا اريد تقديمها للحيوانات امام اولاد المدرسة، فكان جوابه: اذهب الى البيت فورا.. انت مفصول من العمل». ويضيف عصام نصيرات: «وللتأكيد بأن فصلنا جاء لاسباب عنصرية، فنحن نعرف مثل غيرنا من العمال بأن هناك سرقات وانتهاكات في مكان العمل من قبل عمال غير عرب، والتي القبض عليهم، ليس على حساب بطيخة، بل الحديث يدور عن سرقات بعشرات الاف الشواقل ولم يفصل هؤلاء العمال، والامر الثاني ان طريقة فصلنا تنافي اتفاقية العمل، فكان يجب ان تعطى لنا الفرصة لشرح موقفنا كما هو في اتفاقية العمل، لكن حتى ذلك لم يتم، وبعد تدخل الهستدروت بناء على توجه من الاخ جميل ابو راس جلسوا معنا.. ولكن بعد ان تم فصلنا للاسف».

ويقول عدنان مصاروة: «ولو كان ما يدعيه المدير صحيحا لكيف دفعوا لنا التعويضات وارسلوها لنا في شيك ،كلاً الى بيته. والاغرب من ذلك انه كانت قد تعينت جلسة اخرى بيننا وبين المدير يوم الثلاثاء الماضي وبالاشتراك مع ممثل الهستدروت في رمات غان، لكن الاخير اتصل بنا في موعد عقد الجلسة وابلغنا بأنه مريض، حسب رأينا هذا تهرب من مواجهة الامر والدفاع عنا».

عصام نصيرات يتحدث بحرارة لانه متألم جدا للتهمة الباطلة وايضا زميله عدنان. والاسوأ من ذلك انه بعد توجه النائب الجبهوي هاشم محاميد الى ادارة «السفاري» محتجا على الفصل كان ردها بأن الفصل جاء «بسبب سرقة بطيخة»! وانه «ليست هناك اسباب عنصرية للفصل» وانه «تم فصل عمال يهود في السابق لنفس السبب»! الامر الذي يتلبه عصام وعدنان. ويؤكدان بأن الادارة قامت خلال السنوات السبع الاخيرة «بتنظيف» السفاري من العمال العرب وفصل حوالي ٣٥ عاملا عربيا ولم يبق اليوم هناك سوى ثلاثة عمال عرب لا يعرفون متى يفصلون ولا ما هي التهمة التي ستوجه اليهم.. وقد تكون سرقة كوز صبر مثلا!

الاضطرابات الاخيرة في اصغر دولة عربية تنسف اوهام حكامها:

المياه لم تعد راكدة ... في البحرين!

■ في البحرين (٣٥٠) الف نسمة، ثلاثون الفا منهم عاطلون عن العمل بينما.. فيها (١٣٧) الف مواطن اجنبي يشكلون (٦٦٪) من الايدي العاملة!! ■ محاولات حكام البحرين اضفاء «الصبغة الطائفية الشيعية» على حركة الاحتجاج تصطدم بواقع الحقيقة: المطالب العادلة التي ترفعها حركة الاحتجاج! ■

● اعداد: محرر الشؤون العربية ●

● حركت احداث البحرين المتتابعة منذ اوائل شهر كانون الاول الماضي المياه الراكدة من حول هذا الارخبيل المشكل من ٣٣ جزيرة لا يربطه باليابسة الا جسر الملك فهد. فقد ظنت العائلة الحاكمة، عائلة آل خليفة، ان المياه ستبقى راكدة الى امد بعيد، وذلك منذ ان قرر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة في العام ١٩٧٥ حل البرلمان بدعوى انه يعطل عمل الحكومة ويعرقله.

فما هي حقيقة هذه الاحداث؟! ما هي الدوافع لمثل هذه الهبة الجماهيرية والشعبية، التي سقط خلالها ١٩ متظاهرا وفق بيانات القوى المعارضة؟! وهل هذه الهبة تعبر عن ازمة داخلية في البحرين ام انها تتعداها لتشكل جزءا من الوضع المأزوم القائم في الخليج العربي؟!

قبل الاجابة على هذه التساؤلات لا بد من اثبات بعض المعلومات الاساس عن هذا البلد العربي الاصغر في حجمه وتعداد سكانه. اذ لا تزيد مساحة البحرين عن (٦٠٠) كيلومتر مربع. ويصل تعداد السكان فيها الى (٣٥٠) الف نسمة منهم ثلاثون الف عاطل عن العمل. تحكم البحرين عائلة آل خليفة، التي تسلمت السلطة من البريطانيين في العام ١٩٧١. ويعيش في البحرين (١٣٧) الف مواطن اجنبي يمثلون (٦٦٪) من الايدي العاملة.

ويتضح من الميزانية، التي اعلنتها البحرين للعامين ١٩٩٥ و١٩٩٦، بأنها تعاني عجزا اكبر مما حوته الميزانية السابقة للعامين ٩٣/١٩٩٤. وذلك بسبب تدني العائدات النفطية. وقد تم تخصيص ١.٦٦٩ مليار دولار للسنة المالية ١٩٩٥ و١.٦٧٤ مليار دولار للسنة المالية ١٩٩٦، اي بزيادة مقدارها ٥٪ عن نفقات الميزانية السابقة.

وتوقعت الميزانية ان تبلغ العائدات ١.٣٥٢ مليار دولار في العام ١٩٩٥ و١.٣٧٨ مليار دولار في العام ١٩٩٦، اي ان العجز المتوقع سيكون ٣١٧ مليون دولار و٢٩٦ مليون دولار على التوالي، في حين ان العجز بلغ ١٩٢ مليون دولار في ميزانية العام ١٩٩٤.

هذه الارقام، التي قد تبدو جامدة، تنعكس سلبا على الاغلبية من المواطنين. وفي الاساس على الشيعة، الذين يشكلون وفق الاحصائيات الغربية والامريكية (٥٥٪). في حين تقول السلطات الحاكمة في البحرين ان نسبتهم لا تتعدى الـ (٣٥٪). ومهما يكن من امر النسبة الا ان الامر الاساس يبقى ان هؤلاء السكان، وهم من اصل عربي وليس فارسي، كما يظن البعض، هم الاكثر تضررا من الوضع المأزوم في البلاد. اذ لا يسمح لهم باحتلال الوظائف العالية في الدولة او الخدمة في الجيش او الشرطة.

■ بداية الانفجار ■

تشير العديد من المصادر المطلعة الى ان بداية انفجار الاحداث الاخيرة في البحرين كانت حين اعتقلت السلطات الشيخ علي سلمان، الذي رغب في توجيه عريضة وقعها ٢٥ الف انسان من الشيعة والسنة ومن العلمانيين والمتدينين، تطالب باعادة الحياة البرلمانية الى البلاد، ومعالجة ازمة البطالة، وحل مشكلة المبعدين الى الخارج، ومساواة المرأة وغيرها من مطالب الدمقراطية والمساواة. وادعت السلطات البحرانية ان حركة الاحتجاج هذه تنشط بتحريك من الخارج. اي ان السلطات رغبت ومنذ البداية في اضفاء الصبغة الطائفية على هذه الحركة تمهيدا لقمعها.

ولقد تزامن هذا التحرك الدمقراطي مع حدثين هامين: الاول، السادس من كانون اول، ذكرى استقلال البحرين والثاني في ١٩ منه يوم افتتاح مؤتمر قمة مجلس التعاون الخليجي في المنامة. وظنت قوى المعارضة ان وجود حشد من الوفود والصحفيين كان بامكانه ان يساعدهم على توضيح مطالبهم وتجنيد الرأي العام العربي الى جانبهم من ناحية، وان يمنع العائلة الحاكمة من اللجوء الى القمع ضدهم من ناحية اخرى.

الا ان العائلة الحاكمة اصغت الى نصيحة جهاز المخابرات، الذي يرئسه اللواء ريان اندرسون البريطاني الجنسية!! والذي يحتل، ايضا، منصب مدير الامن العام في البحرين! فقامت بعملية قمع للمظاهرات مما اسفر عن مقتل ١٩ مواطنا واعتقال اكثر من ٣٥٠٠ مواطن آخر. وافاد شهود عيان بأن قوى الامن استغلت طائرات الهليوكبتر والرصاص الحي وقنابل الغاز المسيل للدموع في كل مرة تفجرت فيها مظاهرة.. وكانت الظاهرات تتفجر في اغلب الاحيان في ساعات المساء.

بسم الله الرحمن الرحيم
/ /١٤١٥ هجرية.
/ /١٩٩٤م.
حضرة الفاضل: صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين حفظه الله ورعاه
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد.
لقد كانت خطوتكم التاريخية الموفقة في إرساء دعائم البحرين الحديثة بعد الاستقلال بمصادقتكم على الدستور ديسمبر ١٩٧٣ وإجراء الانتخابات التشريعية علامة بارزة في دولة البحرين الحديث وتاريخ المنطقة تؤكد إيمانكم بأهمية المشاركة الشعبية على أساس من الشورى والعدل، لمواجهة متطلبات [illegible] التطور الحضاري لدولتنا الحديثة وتوطيد دعائم مؤسساتها [illegible] وثقة لا حدود لهما بأبنائها وبأهاليهم لتحمل مسؤولياتهم في [illegible] البلاد وتوطيد الأمن والاستقرار فيها على أساس من [illegible] والتضامن والتكافل الاجتماعي.
وإذا كان وطننا قد عانى الكثير بعد حل المجلس الوطني ١٩٧٥/٢/٢٦ وحتى يومنا هذا وتراكمت من جراء ذلك [illegible] الرواسب نتيجة تعطيل المسيرة الديمقراطية الرائدة التي افتتحتموها بافتتاحكم أول فصل تشريعي للمجلس الوطني المنتخب، وكان [illegible] حريصاً على توفير فرص التفكير المتروي لسموكم الكريم التجربة التي مرت بها دولة البحرين ونتائجها بعد افتتاح المجلس الوطني وبعد حله بموجب المرسوم الأميري رقم ١٩٧٥/٤، أملنا كان كبيراً في فتح باب التحاور مع سموكم الكريم حول [illegible] هذا الوطن، عندما تقدمت نخبة من أبناء [illegible] قدمت إلى سموكم في ١٥/١١/[illegible]

● الوثيقة التي فجرت الازمة ●

■ المعارضة تتوحد في مطالبها ■

لا شك في ان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتأزمة، وفي غياب الدمقراطية والحياة الدستورية، وفي ظل القمع، هي التي مكنت المعارضة البحرانية من الالتفاف من حول المطالب، التي حوتها تلك العريضة، بالاضافة الى اقالة اللواء البريطاني هندرسون وطرده من البلاد.

وحدث له دلالاته هو قيام مجموعة من الضباط في الجيش بتوقيع بيان دانت فيه بشدة والاعمال الاجرامية التي يقودها ريان هندرسون واتباعه من بريطانيا ضد المدنيين في هذه البلاد، الذين لم يطالبوا، بأكثر من مجرد اعادة العمل بالدستور الذي اقره امير البلاد».

الا ان رئيس الوزراء، الشيخ خليفة بن سلمان، بدل ان يفتح الباب امام الحوار السياسي والوطني العام للخروج من الازمة السياسية والاجتماعية للبلاد، وبدل البدء في تنفيذ الخطوات العملية لاعادة الحياة البرلمانية الى سابق عهدها، شن عملية قمع دموية استهدفت القياديين من المعارضة، وبدأ في ابعادهم الى لبنان وسوريا وبريطانيا وغيرها.

كما قام باستدعاء قوات سعودية (قوات الحرس الوطني السعودي) لتتولى مسؤولية الدفاع عما اسماه «بالامن». وتصر العائلة الحاكمة في البحرين على ان «مجلس الشورى» المعين، والذي لا صلاحيات دستورية او تنفيذية لاعضائه، «هو المعبّر عن رأي الشعب»!

■ أزمة خاصة في اطار ازمة شاملة ■

يميل بعض المراقبين السياسيين الى القول ان الاحداث المستمرة في البحرين، بالاضافة الى كونها تعبر عن ازمة داخلية خاصة بالبحرين، إلا انها في الوقت ذاته تشكل جزءا من ازمة عامة تعاني منها اغلبية الانظمة العربية في الخليج. اذ من المعروف ان هذه الانظمة، وفي اعقاب الاجتياح العراقي للكويت، والعدوان الثلاثيني العربي/ الدولي على العراق، تعاني من ازمة اقتصادية في اعقاب الاموال الباهظة التي انفقتها.

ولا شك في ان هذه الازمة العامة تدفع بالمتضررين منها الى التمرد، خاصة وان الجمر الموجود تحت الرماد هو قوة كامنة. ولهذا لم يكن من قبيل الصدفة ان اعلن وزير الدفاع السعودي ان «امن السعودية والبحرين هو واحد» وان يقوم وزير الدفاع البحراني بزيارة الى القاهرة لكي يبحث سبل تعزيز التعاون العسكري بين البلدين، وخصوصا، في مجال اعداد وتأهيل الكوادر العسكرية.

وليس صدفة، ايضا، ان دعا الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، في كلمته امام قمة مجلس التعاون الخليجي، التي انعقدت في ١٢/١٩/ ١٩٩٤، الى تحقيق «المناعة الداخلية لمجلس التعاون، والى ازالة الاختلاف بين الاعضاء».. كما دعا الى «تعزيز التعاون والتكامل في المجالات الامنية والاقتصادية، التي اتفقنا عليها والتزمنا بها جميعا وفي مقدمتها قوة «درع الصحراء» والاتفاقية الاقتصادية الموحدة»..

فهذه الدعوة تشكل اقرارا من امير البحرين بأن الازمة الداخلية هي جزء من ازمة عامة لدول الخليج من ناحية، والى ان سبل حل هذه الازمة، وفق ما يرتئيه الحكام، هو بتكافلهم ومواجهة اي تحرك داخلي في كل بلد على حدة.

■ موقف المعارضة ■

ازاء وحدة الحكام الخليجية هذه تحركت قوى المعارضة البحرانية في اتجاهين: الاول على الصعيد العربي، اذ قامت هذه القوى باعلام الانظمة العربية الاخرى بحقيقة ما يجري في البحرين. وعرضت على الرئيس المصري، حسني مبارك، مثلا، نص العريضة التي وقعها ٢٥ الف مواطن من شتى الفئات والقوى السياسية والدينية.

والثاني على الصعيد الداخلي: فقد دعت لجنة التنسيق بين «جبهة التحرير الوطني البحرانية» و«الجبهة الشعبية في البحرين» بتاريخ ٢٧/ ١٢/١٩٩٤ الحكومة البحرانية الى الحوار مع الشخصيات الوطنية والاسلامية لتسوية ازمة البلاد العميقة.

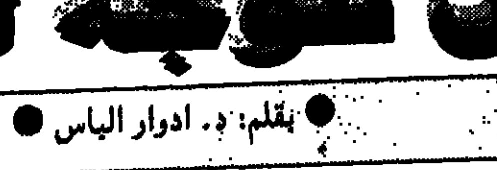
وقالت اللجنة: «ان المخرج من الازمة العميقة، التي وصلت اليها البلاد يكمن في استجابة الحكومة لمطلب الحوار مع الشخصيات الوطنية والاسلامية المناضلة وفي اطلاق سراح جميع المعتقلين في الاحداث الاخيرة».

«وان المشكلة التي انطلقت منها هذه الاحداث هي سياسة التجاهل للمطالب السياسية والاقتصادية التي عبر عنها المواطنون بوضوح في عريضتهم، المطالبة باعادة الحياة البرلمانية واطلاق سراح السجناء السياسيين وعودة المبعدين و اطلاق الحريات العامة وحل مشكلة البطالة واعطاء المرأة حقوقها السياسية».

ومن الملاحظ ان الحركة الاسلامية في البحرين تنادي بهذه المواقف ايضا، الامر الذي يؤكد ان الهبة هي من اجل «الدمقراطية والحياة الافضل» وليس «تحركا مشبوها بفعل قوى خارجية».

■ الخلاصة ■

من السابق لاوانه القول اذا ما كانت هذه الهبة ستنجح في تحقيق اهدافها ومطالبها، وفي وقف عمليات القمع الدموية. الا ان الامر الاكيد، الذي يمكن قوله، هو ان الهبة حركت المياه الراكدة، او التي خالها الحكام راكدة في البحرين.



● بقلم: د. ادوار الياس ●

** غمزات **

- من تحترق بصلته تفسد طبخته.
- يكون البحث عن السبب، احيانا، اصعب من الحصول على النتيجة.
- لا بد ان ينزل الواقف على السور، في نهاية المطاف، الى احد الجانبين.
- لا تكمن القوة في الوصول الى القمة، بل في البقاء عليها.
- من لا يسأل السؤال الصحيح لا يتلقى الجواب الصحيح.
- غرام الامل افضل الف مرة من كيلو اليأس.
- من يصمت على الخائن فهو خائن.
- من تصلي طول الوقت لتنساه تتذكره طول الوقت.
- من لا يتغير نحو الافضل يتغير نحو الاسوأ.
- في الضباب الكثيف لا تضيع الاتجاهات الفيزيائية فحسب، بل والفكرية ايضا.
- القاضي العادل يبحث عن الحقيقة كبحث الكلب الجائع عن عظمه.

** من أقوال الشعوب **

* يقول السلوفاك:
- مثل وسخ الكلب!
* وتقول العرب:
- مثل وسخ الاذنين!
* يقول الهنود:
- من يلاعب الافاعي يتحمل سمها!
* وتقول العرب:
- من يداعب القط يتحمل خراميشه!
* يقول الصينيون:
- انطح السور!
* وتقول العرب:
- اشرب البحر!
* يقول الارجنتينيون:
- من الصعب تدريب كلب عجوز!
* وتقول العرب:
- بعد ما كبر وشاب ودّوه على الكتّاب!
* يقول المكسيكيون:
- العدالة تكلف مالا!
* وتقول العرب:
- النصيحة بجمل!
* يقول السويديون:
- المسؤولية ليست افضلية!
* وتقول العرب:
- جخّة ولو على خازوق!

** فولتيريات **

● بعد ان ارسل بطل رائعته «كنديد» الى بلاد فارس وعرّضه للجلد واللكم، ليسعده ويرفع من مقامه، كتب الفيلسوف الفرنسي الساخر فولتير:

«اذيع ان كنديد خائن، وانه قال سوءا عن شاربي ملك الملوك. فأجمعت الحاشية كلها على حرقه. لكن كبير الوزراء كان اكثر تسامحا، ويحكم عليه بالنفي المؤبد بعد ان يقبل قدمي الواشي به، وفق عادة الفرس.

ويدخلون على الواشي ويخلعون نعليه. ويخبرون كنديد بضرورة الخضوع لهذا الخزي او ان يوضع على الخازوق.

ويتذرع كنديد بحرية ارادته ويقبل قدمي الواشي، ويطردونه من البلد صارخين: «هذا خائن! لقد قال سوءا عن شاربي الشاه!».

ويسير كنديد حزينا، ويقول في نفسه: «لم اقل، قط، شيئا عن شاربي ملك الفرس. واسقط في لحظة من قمة السعادة الى حضيض التعاسة لان لئيما خرق جميع القوانين واتهمني بجناية مزعومة لم اقترفها مطلقا! ثم يغدو هذا الوغد، هذا الوحش المتجني على الفضيلة، سعيدا»!.

** نشازيات **

لان فواز النشاز طلب تعليق بروفة زفة مسعد اسعد الديراوي الحيفاوي على سعدة السعدان العكاوية من يوم الجمعة ٢٠/١/ ١٩٩٥ الى يوم الجمعة ٢٧/١/١٩٩٥، بسبب ضيق الوقت وحلول ساعة اللغ والزلط، اسرعت لجنة التحكيم الى طقع ختمها على الطلب الشفهي شبفهيا. وركض اعضاؤها وعضواتها الى البيوت لوضع الطناجر على المواقد.

ولان ام فواز فوزية الجميل وام بديع بديعة عبد السميع سارتا بفحجات واسعة، هرولت خلفهما الحجة نجيبة وصارت تلهث. ولانها متبنتة تعبت وربخت على البلاطة النصراوية المركركة، امام دار «اكرم كريم» البخيل.

وحتى تلتقط انفاسها وتستعيد عافيتها شرعت الحجة تردد:

«كيلو سمسم عَ المسفا/ انا بسفا وهو بيسفا/ انا بسفا من مسفاي/ وهو بيسفا من المسفا».

فسمعها الولد جميل ابو عين كريمة، الذي يمت بصلة قرابة نسبوية لدار ابو حمار، وتدندل عن شجرة المندلينا وجلس بجانبها على البلاطة المركركة ليلاعبها. وامسك بيدها وبدأ يداعبها:

«مليمسي يا مليمسي/ يا حبات قريشي/ بعثتني معلمتي اجيب كوز البصل/ وقع مني وانكسر/ وعلقتني عَ الشجر/ والشجر مليان فلوس/ هاتي ايدك يا عروس/ يا ام الحلق والدبوس/ دبوسك هذا مصدي/ بدو فرك بالوردي/ والوردي ما هي عندي/ الوردي عند الضرة/ الله يضرك يا ضرة/ يا ام خدود محمرة».

ولان ابو عين كريمة عقص الحجة عند «ام خدود محمرة» على فلولة خنصرها وطلّع روحها، صاحت من قراقيع قلبها:

- ويلوك.. ويلوك.. ويلوك! الله يحتال ويغتال ستك الشخاخة ام الشراطيط..

وفزت عن البلاطة كمن عقصتها زقرطة، وتفت على فلولتها وفلت من المكان راكضة نحو بيت اختها ام فواز. فوجدتها تعد العدة مع ام بديع لجبل الكبة الكذابة، التي هي كبة عادية مع برغل وحوسة بصل وبهارات وزيت زيتون من خابية المونة، ولكن البطاطا المسلوقة المهلوطة تحتل محل اللحمة، توفيرا وخوفا من لحمة بقرة «دار ابو حمار» المروضة التي ذبحوها في موسم انتشار فيروس الاسهال، حتى تروح في الدوكة.

وما ان نشقت الحجة رائحة المردقوش حتى انفتحت واتسعت منافسها، وهجمت على اللجن ومدت يدها. فصاحت بها ام فواز:

- ردي المكسورة وروحي صوبني. - فردت الحجة:
- باين مكبرين الجبلة؟ - فقالت ام بديع:
- كُبر البيدر ولا شماتة العدا. - فردت الحجة:
- اذوق.. نفسي فيه! - فأسرعت ام فواز واستلاوحت مقشة العبهر وصاحت:
- لا تبلغصي بلجن الكبة بأصابع مش مصوبنة. وما بتذوقي طبختنا الا اذا كنستي سطيحتنا.

فارتدت الحجة الى الخلف، وعبطت مقشة العبهر وشرعت بقش اوراق الشجر والدموع تتزاحم في مقلتيها. ثم تربعت على الدرجة الفاصلة بين السطيحة والحاكورة وصاحت بصوت خافت:

«اوف..! بلش خريف العمر يخبط عَ البواب/ والشيب داهمني وضيّعت الصواب/ وبلشت احردب وتختخت فيّ العصاب/ ونشفت بيادرنا وراح الشباب»!

ولان صوت الحجة انساب، متعكزا، الى اذان ام فواز وام بديع، غصتا في الحزن وركضتا نحوها وعبطتاها وطلبتا منها السماح. وغنتا لها:

«يا ام رعيدي ارعدي/ خذي الحجة وابعدي/ خذيها تحت باطك/ وسمعيها خبطاتك» وزكزكتاها تحت باطها.

فضحكت الحجة وصرخت:

- خلوها على الله.. هاتوا عصّورة كبة كذابة.

وبعد ان ناولتاها العصّورة وزلطتها واستطيبتها طلبت غيرها. فاشترطتا عليها ان تجيب على حزيرة الاباء: «ابو العجب» و«ابو لاحق» و«ابو زاجر» و«ابو جعدة» و«ابو عمرة». فقالت:

- هوينا هذاك اليوم، في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات، لما كنت في عز الشبوبية، رتبت تجرة جبتوية الى قرية شاغورية. وعند المدرسة الابتدائية سمعت تغريد اطفال البساتين:

«هيك بيدور الدولاب/ هيك بتسبح الاسماك/ هيك بيطيروا العصافير». فواصلت المسير حتى وصلت ساحة المدرسة الثانوية وسمعتهم يؤكدون:

- ان اول متحف في العالم هو متحف الاسكندرية المصرية الذي اقامه بطليموس الاول في العام ٢٨٠ قبل الميلاد. وان الوقت الذي تستغرقه الشمس خلال دورانها، دورة واحدة، حول نفسها هو ٢٤ يوما و١٨ ساعة. وبما انني كنت قد سمعت هذه التأكيدات من الحجة نجمة نجم، التي خيّت ورقصت وتعكزت على زمن الاتراك والانكليز واليهود، تأكدت ان حديث المدارس صحيح. فتربعت امام كيوسك بياع الفلافل والكازوز الشفاعمري ونصتّ. فسمعتهم يعرّفون:

- ابو العجب هو الدهر وابو لاحق هو الباز وابو زاجر هو الغراب وابو جعدة هو الذئب وابو عمرة هو الجوع.

فأسرعت ام فواز واحضرت لها عصّورة كبيرة من الكبة الكذابة مع صحن مصفلح من رديفتها الحوسة الكذابة.

وبينما كانت الحجة نجيبة تلوك وتبلع شرّك فواز النشاز واعلن:

- بعد التشاور مع شقيقي في الرضاعة بديع عبد السميع وحليفنا لوقت الحاجة «ابو فجلة» ابن راعي العجال اتفقنا على استغلال جهاز التليفون النقابي في نادي الهستدروت، التي تستغل العامل مع الفلاح، تنظيميا وصحيا. وهاتفنا مختار الوادي موريس شحادي على تليفون «سوبر ماركت» الفواكه والخضار لصاحبته ام الياس العيلبونية. وتفرغ مختار الوادي من النقاش التفقيعي الذي جره اليه تابعه زوزو جبران واخبرنا:

- لان وسائل الاعلام الالكترونية حولت الكرة الكبيرة الى قرية صغيرة، انتشر خبر زفة «دار ابو حمار» وبقرتهم المروضة بسرعة البرق، ووصل الى طبلة اذن مسعد الديراوي، وحلف بالطلاق ان يحافظ على طهارة عزوبيته الى داهر الداهرين ولا ينزف هيك زفة.

فضربت الحجة كفا على كف وقالت بحسرة:

- يعني على حظ الحزينة سكرت المدينة؟ حفي لساني وانا المحشم نظمية علم عاصي (ام شربل) حتى علمتني الـ «اويها» التي تعلمتها من وردة الابراهيم (ام رفعات)، كي اغنيها في زفة سعدة السعدان، المعطرة المطلقة مع ولد، على مسعد الديراوي الحيفاوي بدون ولد. ولعلع صوت الحجة:

«اويها.. يا قطر يا مطر يا دمع عيني زخ/ اويها.. يا برج عالي كل عمره للزنا ما نخ/ اويها.. كم تاجر يتاجر حكى فيك وعظمه تخ/ اويها.. واحنا من اول موال خلينا جملكم نخ»!

وطقعت فوزية الجميل وبديعة عبد السميع:

لولولو.. ليش!

فركض فواز النشاز وصاح:

- خلوا السيرة مستورة حتى نحط الحد على الزعرورة!



هل ساهم العرب في مسيرة السينما العالمية؟

بقلم: احمد رأفت بهجت

سؤال يصاحبه الكثير من علامات التعجب.

ولكن اجابته تأتي حاسمة قاطعة بالايجاب.

وهذه الاجابة لا تأتي من فراغ، انما يؤكد جذورها مؤرخنا السينمائي احمد الحضري عندما سرد لنا التطور الفني لتاريخ السينما فيقول: جميع كتب التاريخ السينمائي لا بد ان تبدأ مهما كانت موجزة بالتطور الذي مر به التصوير الفوتغرافي بدءا بما يسمى بـ «الغرفة المظلمة» ومرورا باكتشاف المادة الحساسة التي تسجل الصورة عام (١٧٢٥)

.. والى ادراك ظاهرة استمرار الرؤية في عين الانسان عام (١٨٢٤) والى تجارب التصوير المتلاحقة التي بدأت عام (١٨٥٠) حتى توصل العلماء الى استخدام شرائط السليولوز المرنة كقاعدة للمادة الحساسة عام (١٨٨٩) الى ان نصل الى اختراع الة التصوير السينمائي في عام (١٨٩١) والى اول عرض سينمائي امام الجمهور عام (١٨٩٥).

اذن فالغرفة المظلمة هي التي ادت الى ظهور الفن السابع (السينما) هذه الغرفة نسب اكتشافها الى الفنان الايطالي ليونارد دافنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩) حتى جاء الناقد والمؤرخ الانجليزي بيتر كاوي مؤلف «التاريخ الموجز للسينما - الجزء الاول» الصادر في لندن عام ١٩٧١ ليوضح ان اول من توصل الى الغرفة المظلمة بمفهومها العلمي هو العالم العربي ابو علي الحسن بن الهيثم (٩٦٥ - ١٠٣٨م).

* في بداية السبعينات وبالتحديد خلال عامي ١٩٧٠، ١٩٧١ بدأت السينما في هوليوود تعاني عجزا ماليا ضخما.. وستوديوهاتها الكبرى كان يتهددها الافلاس واصبحت السينما الهوليوودية على حد تعبير المؤرخ والناقد الامريكي ويليام باير «تعرج وكأنها وحش مشلول.. ديناصور ضخم لا تفي عائدات شباك التذاكر بنفقات طعامه..» لقد كانت اياما مؤلمة ومربكة بالنسبة لرجال صناعة السينما الامريكية الى ان انتهت سنة ١٩٧١ وساد حسن التصور والادراك السليم في ظل تحجيم دور ستوديوهات هوليوود ومحاولة صنع افلام تلتحم بالناس وتعكس مشاكلهم في ارض الواقع.. وحتى يتحقق هذا كان لا بد من الاختراع الذي يساند هذه المتغيرات.. هنا ظهر المغترب المصري فؤاد سعيد ليقدم اختراعه الاستوديو المتنقل (CINEMobile) الذي حقق لجيل السبعينات في السينما الامريكية وفي مقدمتهم فرنسيس كوبولا وسبيلبرج نقطة الانطلاق تجاه التحرر شبه الكامل من اجواء استوديوهات هوليوود.

ويعتبر اختراع فؤاد سعيد من اهم التطورات الحديثة في صناعة السينما لقد تمكن المخرج السينمائي من نقل الات التصوير واجهزة الاضاءة والصوت وجميع المعدات والادوات الضرورية الى اماكن لم تكن في السابق في متناول منتجي الافلام وقد بدأ سعيد بتأجير هذه الاستوديوهات حتى اصبح الان كل فيلم يجري تصويره خارج هوليوود يستخدمها بحيث اصبحت الشيء الذي لا يمكن الاستغناء عنه. ويقول برل زيمرمان «ان الاستوديو المتنقل او سيني موبيل الذي ابتدعه فؤاد سعيد المهاجر العربي احدث تجديدا ثوريا في صناعة الافلام».

وقد جلب هذا الاختراع لفؤاد سعيد جائزة اوسكار في مجال التكنيك والعلوم السينمائية «لتصميمه وادخاله سلسلة الاستوديوهات المتنقلة في صناعة السينما الامريكية».

* كانت الافلام الفرنسية والامريكية التي صورت في بداية هذا القرن في بلدان شمال افريقيا مدخلا لجيل كامل من الممثلين العرب الى السينما.

لقد ظهرت في السينما الفرنسية اسماء مثل سي احمد عبد الله، محمد مريلحي، عبد القادر بن علي، حبيب بنجيليا، واستمر نجوم المغرب العربي في الظهور في الافلام بعد القضاء على الاستعمار ولمع منهم التونسي الراحل علي بن عياد والمغربي حميدو وابنته سعاد حميدو. كما لا يمكن ان نتجاهل ان نجمة فرنسا الاولى ايزابيل ادجاني من اصل جزائري.

ومنذ الخمسينات اصبح اللبنانيون جزءا من الفنون المرئية في امريكا. فقد ذاع صيت «مايكل انسرا».. (عنصره) والمغني داني توماس «موزياد جاهوب» اول فنان عربي الاصل حقق شهرة عريضة بين الجمهور الامريكي.

ومن مصر قدمت السينما العالمية «عمر الشريف» باعتباره الشاب العربي او الشرقي او اللاتيني او الاوروبي غير الامريكي الذي بنى في احلام النساء معادلة لا تخطئ حول الرجل العاشق صاحب الجرأة والجاذبية الطاغية. وهي نفس الملامح التي قدمتها هوليوود لنجوم من امثال «فالنتينو» و «نوفارو» و «مونتاليان». ولكن مع فارق جوهري وهو ان عمر الشريف كان اكثر هذه الاسماء موهبة بدليل ترشيحه لجائزة احسن ممثل دور ثان عن اول دور له في السينما الامريكية وهو دور الشيخ علي في فيلم «لورانس العرب» ثم ظهوره في بعض الافلام الضخمة التي اصبحت من كلاشيهات السينما العالمية مثل «دكتور زيفاجو»، «سقوط الامبراطورية الرومانية»، «ليلة الجنرالات».

ولا ننسى ايضا ان السينما العالمية كانت قد جذبت من قبل اسماء مثل «جميل راتب، وكوكا، وسامية جمال» ولكن في نطاق ادوار محدودة ولكنها مميزة.

ومن الطبيعي ان يحقق الفنان العربي تواجده اذا اتيحت له الفرصة فقد استطاع الفنان شادي عبد السلام ان يبرز عن مواهبه في مجال تصميم الديكور والملابس لافلام مهمة مثل «كليوباترا» لمانكوفيتش، «فرعون» لكافاليروفيتش، «الحضارة» لروسولبني، واكد مصطفى العقاد تفوقه كمخرج عالمي بعد اخراجه «الرسالة» و «عمر المختار».

وظهرت افلام ضخمة من انتاج «عائلة فايد»، طارق بن عمار، مصطفى العقاد، ماريو قصار (منتج سلسلة افلام «رامبو») ونادر الاتاسي.. وغيرهم.

* عمر الشريف *

بقلم: رفيق الصبان

من كان يصدق.. او من كان يخطر في باله.. ان هذا الاختراع الفرنسي العجيب الذي صممه لوميير الفرنسي.. ليصور به وصول قطار الى محطة او خروج مجموعة العمال من مصنع كبير او لعب اطفال صغار في حديقة بيتهم.. والذي انتقل ليعرض في خيمة سوق نيويورك الدولي.. كواحدة من الغرائب والعجائب.. سيتحول بعد مائة سنة.. (ليست في حساب الزمن الا دقيقة) ليصبح اكبر واهم فن في تاريخ الانسانية.. لانه جمع الفنون كلها.. في دائرة واحدة.. وسهل انتشارها في كافة انحاء المعمورة.. وجعلها لصيقة بالمجتمع والصناعة والتجارة.

ولم يكتف بذلك بل جعل من هذا الضوء السحري مصنعا للاحلام والذكريات والاماني.. تتجمع من خلاله افكارنا عن الجمال والاخلاق والتصرفات والتعامل والازياء والحب والكراهية.. وتتحدد دون ان ندري نظرتنا الى انفسنا والى غيرنا.. والى العالم الذي يحيط بنا.

لقد نقلت السينما.. الفن والفكر.. من الكلمة الى الصورة وادخلت (الحلم) الى نطاق الواقع.. واصبحت الفن الذي لا يمكن للمرء ان يتخلى عنه لانه وضع الفنون كلها في بوتقة وقدم لنا اكسيرا سحريا.. جعل اعيننا مشدودة له.. بخيط من ضياء ولد كي يستمر.. ولا ينقطع ابدا.

السينما.. مصنع الاحلام.. الذي جعلنا نرى الجمال، كما يحدده، وكما يريده، والذي حول اذواقنا من ايجابية الطلب الى سلبية التلقي.. منذ ان خلقت هوليوود نظام نجومها لتجعل من هؤلاء البشر (الهة) القرن العشرين.. نراهم من خلال دائرة من النور.. تحيلهم الى بشر فوق البشر نرقبهم مذهولين.. ونحلم بهم كسراب يستحيل لمسه.. ونجري لاهثين وراء اخبارهم ومغامراتهم، ونترقب سكارى ثملين.. ظهورهم وحركتهم على الشاشة.

المتشرد الكبير بقبعته وعصاه وحذائه الشهير.. وشاربه القصير. خطيبة العالم ماري بيكفورد بجدائلها الشقراء.. وعينها الساذجة وميل عنقها الصغير المليء بايحاء جنسي مستتر تعلوه البراءة.

تيرن بانكس بفروسيته وسيفه البتار.. جيني هارلو بشقرتها البلاتينية وبشرتها الصافية.. جريتا جاربو بجلالها وغموضها.. مارلين ديتريش بشفاليتها وحسيتها المفرطة.. والضياء العبقري الذي احاطها به المخرج الذي عشقها واخترع الضوء العاكس من اجلها.. ومن اجل ابراز تقاطيعها السماوية.

هيدي لامار.. بجمالها الصاعق وآنا جاردنر بوحشيتها.. وجين تيرني بارستقراطيتها.

وابتدأنا.. نتعلم من خلال هذا الخيط الساحر من الضوء.. الذي يحرك الصور امام اعيننا المبهورة كيف نحب وكيف نكره. كيف نحاول قهر المستحيل كما فعلت شارلين اوهارا في (ذهب مع الريح) او كيف نموت حبا في سبيل من نهوى. كما فعلت مرجريت جوتييه في (غادة الكاميليا) او كيف نثأر لكرامتنا الجريحة كما فعل هاثلكيف في (مرتفعات وذرنج).

حتى ازياؤنا، وتسريحة شعرنا وطريقة حركتنا حددها ممثلون. لقد تسللت السينما الى عروقنا.. كمخدر مسحور.. اصبحنا بعده.. لا نرى الدنيا الا من خلال ما نراه على الشاشة. تغيرت مفاهيمنا للعالم.. طرق تعاملنا مع الاشياء.. نظرتنا للاخرين، علاقاتنا مع الناس كلها اصبحت مرهونة بما نرى.. بهذا السيل العجيب الذي يروي لنا من خلال الابتسامة والهمسة احيانا ومن خلال الدم والعنف والجريمة احيانا اخرى.. من خلال البطولة المطلقة.. احيانا ثالثة، ومن خلال القيم المدهشة في احيان متباعدة.. ومن خلال الحدث البوليسي والبطولة الخارقة والجريمة المرعبة والحب بكل اشكاله.. كل هذا يحدد لنا مجرى حياتنا دون ان ندري ودون ان نستطيع ان نضع حاجزا لهذا الماء العذب الذي يجرفنا.. ويغرقنا.. ويبعدنا لحظات او ساعات عن واقعنا.. او يدفعنا للغوص فيه رغما عنا.

لقد شهد هذا الفن طريقا كان يبدو للرائي البعيد.. صعبا.. مستحيلا. لكن السينما.. استطاعت باقل من مائة عام ان تحقق معجزتها وان تصبح حقا دون جدال اهم حدث ثقافي وفني استطاع الانسان ان يصل اليه وان يسمو به في القرن العشرين.

* تايلور في دور كليوباترا *



● اكدت الوثائق التاريخية والافلام التي ما زال موجودا منها البعض حتى الان ان اصحاب الفضل الاول لظهور الفن السينمائي هما الاخوان «لوميير»، «او جوست» و «لويس».. من اصل فرنسي من بلدة «ليون» ومن اسرة متوسطة.

لقد استطاع الاخوان «لوميير» ان يطلقا قنبلة البداية باختراع الة «السينما توجرافيا» وهي اول الة عرض سينمائي.. لقد ظل الاخوة لمدة ٤٠ عاما في دراسة هذا الفن وخاصة انهما من اب عشق فن التصوير.

ومن خلال العديد من الابحاث والدراسات استطاع الاخوان لوميير الوصول الى هذا الاختراع الهام الذي اطلق شرارة البداية في العالم واستند الاخوة الى عدة اختراعات سابقة اهمها «الفونوجراف» و «الكينيتسكوب» لـ «توماس اديسون» حتى وصلا الى تقديم الة «السينما توجرافيا» وهي اول الة عرض سينمائي عرفها العالم كله.

وكان اول عرض لاول فيلم في يوم ٢٨ تشرين الثاني من عام ١٨٩٥ في مبنى «جراند كافيه» بحي «كابوسين» الفرنسي.. وكان المشاهد في ذلك الحين يدفع فرنكا فرنسيا واحدا مقابل حضور العرض المتحرك ويجلس امام الشاشة الفضية الكبيرة.

ونجحت التجربة واصبحت منذ ذلك اليوم فنا من اقوى الفنون في العالم حتى قال «لويس لوميير»: لقد استطعت ان اكون الاول في العالم وان اقدم شرارة البداية في مجال السينما.

كان الرفيق مروان يتصور انه بعد تناول وجبة العشاء سيتمدد باسترخاء على سريره الضيق ويدخن سيجارة او سيجارتين من سجائر السفر - مارلبورو هي الجودة وطعم الحياة - وكان يعتقد انه سيطفئ السيجارة الثانية - اذا اشعلها - من نصفها ويغفو في سبات عميق حتى شروق الشمس فالرجل كان متعبا جدا ويكاد يلعن دين هذه الزيارة الحافلة بالمشاهدات واللقاءات والمحاضرات والزيارات. لقد اصر مع مرافقه الروسي على تطبيق برنامج الزيارة بحذافيره وهذا معناه النهوض من الفراش في الساعة السابعة صباحا وتناول وجبة الفطور ثم السفر في الساعة الثامنة الى مصنع الفولاذ، مثلا، ولقاء مدير المصنع ولجنة العمال وتناول الغداء معهم ثم التوجه الى كولوخوز صيادي السمك وزيارة مصنع التعليب والاجتماع مع عمال المصنع ومع بعض الصيادين ومع لجنة الكولوخوز ثم العودة الى الفندق للاستراحة قليلا وتناول طعام العشاء، ثم لقاءات مع القيادات النقابية والحزبية واحاديث ومحاضرات عن زيادة الانتاج ومشاكل زراعة القمح والبطاطا والمؤامرات الامبريالية على الثروة الحيوانية للدولة!

كان البرنامج اليومي منذ عشرة ايام روتينيا ومضغوطا جدا، لا مجال فيه لضحكة او فرفشة او فقشة ما فالحديث كله يدور حول الانتاج والتصدير والاجازات والجنة التي يبنيها الانسان على الارض والمساواة التامة في كل شيء؛ في البيوت والملابس والاحذية والطعام والفرص المتاحة للفرد والحب والزواج والانجاب والطلاق.. وماذا ايضا؟

وكان الرفيق مروان رفيقا جادا يسجل ملاحظاته في دفتره السميك ذي القطع الصغير الذي اشتراه من مكتبة المدينة المجاورة خصيصا لهذه الزيارة الهامة. كان يسجل كل صغيرة وكل كبيرة ويسأل ويستفسر ويناقش، كان يهمه ان يعرف - مثلا، كم يستهلك المواطن الروسي من اللحم والسمك والخبز والبطاطا ويقارن ذلك مع ما كان يستهلكه المواطن الروسي في زمن القيصر او مع المواطن الاسيوي او الافريقي في هذه الايام. فاذا وصلت المقارنة الى المواطن الامريكي اشار باستخفاف الى عشرات الالاف من الامريكيين الذين ينامون على قارعة الطريق وتحت الجسور في البرد القارس!!

وكان الرفيق مروان واثقا من ان الناس في بلاد ثورة اكتوبر لا يعرفون الجوع ولا يقتربون من العوز ولا يشكون من غلاء ثمن الادوية ولا يقلقون على مصير اولادهم فالمدارس متوفرة ومفتوحة للجميع والكتب المدرسية متوفرة ايضا ولا مجال للانحراف فجنة الانسان على الارض تخلو من اللصوص والمنحرفين والحشاشين وسماسرة البورصة والايدز والموبقات الاخرى.

وكان كل شيء يبدو للرفيق مروان «عال العال»، الدنيا بخير، لا حروب، لا احتلال، لا بطالة، لا استغلال، لا تمييز، لا اضطهاد لا هم دنيا ولا عذاب اخرة كما يقولون.

وكان الرفيق مروان يسخر من نفسه عندما يتذكر زيارته الاولى لموسكو قبل عشر سنوات والتي اسماها حينئذ «سفرة الحج الى ضريح الرفيق لينين» وكيف انه قرأ «الفاتحة» في سره ثلاث مرات وهو يطوف حول الضريح وحينما كشف الامر لرئيس الفرقة وعاتبه على ذلك ساخرا اجابه بصراحة: وهل كثير على الرفيق لينين ان اقرأ له ثلاث مرات في حين قرأتها عشرات المرات على بعض عملاء السلطة في بلدتنا!!

وما زال يذكر تجواله في الساحة الحمراء، ووقفته قرب ضريح الجندي المجهول وقفة جادة بها اجلال واحترام لهؤلاء الجنود الذين كسروا عنق الوحش النازي، وفيما هو واقف كذلك شاهد شابا وصبية يتعانقان ويتبادلان القبلات فأصيب بدهشة شديدة لهذا الانفلات الاخلاقي خاصة في هذا المكان وهذا الموقف وهذا البلد وقال بصوت مسموع: لا يمكن، لا يجوز، لا بد ان الامبريالية اللعينة قد ارسلت هذين الشابين الى هنا لتشويه سمعة بلد ثورة اكتوبر. وحين قال له احد رفاقه: الامبريالية «خبط لصق» مرة واحدة يا رفيق مروان!! اجاب: لا تزعل يا رفيق ان هذا الامر من عمل الصهيونية ايضا والمخابرات الامريكية والاسرائيلية!!

ولكن الدنيا تغيرت في السنوات العشر الماضية والرفيق مروان تغير والعالم صار مفتوحا والسوفييت والامريكان صاروا يتفاهمون حول قضايا عالمية عديدة ويحددون الاسلحة ويسكبون الماء البارد على القضايا الساخنة ويتبادلون السلع التجارية وصار الرفيق مروان يسمح لنفسه ان يدخن في سفرته الى الخارج سجائر المارلبورو ويخفي ان هذا التدخين فيه دعم للصناعة الامريكية والاقتصاد الامريكي - كما كان يزعم - بل يصر انه يريد ان يحرق امريكا «فرد مرة»! فالدنيا لا تبقى على حالها ولا بد للرفيق مروان ان يتغير ولو قليلا.

انه يعترف علانية وفي اكثر من مناسبة ان الفضل الاساس في تغيير مجرى حياته يعود الى ميشيل فلولا ميشيل والافكار الحمراء التي غرسها في عقله البور لكان مروان حتى اليوم مثل الكثيرين من عباد الله يسير من الفرشة الى الورشة ويعود من الورشة الى الفرشة او يسير الحيط الحيط ويقول يا رب السترا

وفي ساعات التجلي، وما اقلها، كان يضحك، وقليلا ما ضحك، ثم يقول: ان سبب التغيير في حياتي يعود الى ضمة خبيزة. تضحكون! اي نعم! الى ضمة خبيزة. حينما ذهبت في شهر شباط من ذلك العام الى اراضي الشيخ بريك لأبقل الخبيزة لامي الارملة وفيما انا اجمعها وصلت سيارة الشرطة العسكرية، يعني ما كنا نسميه في زمن الانتداب البريطاني الـ «ام.بي» وما يسميه اولاد عمنا «ميم. تساديك» فاعتقلوني وجروني وهددوني وضربوني وقدموني الى المحكمة العسكرية التي قضت علي بالسجن ستين يوما بتهمة دخول منطقة عسكرية مغلقة بدون تصريح، ورموني في سجن الدامون.

وفي سجن الدامون تعرفت الى ميشيل وذات مساء قال لي انه شيوعي.

قلت: يا ميشيل لا اصدق!

- لماذا يا مروان؟

- لان الشيوعي اجلك الله، اجلك الله بولشوفيك.

- وانا بولشوفيك.

- لا سمح الله يا ميشيل فأنت ابن اوادم.

- والبولشوفيك!

- البولشوفيك يا رجل هو الذي لا يفرق ولا يميز بين امه واخته وابنته وجارته واية انثى، الكل مشاع مثل الطرش!

وضحك ميشيل مني حتى استلقى على قفاه واخذ يشرح لي افكاره. وصار يلقي علي كل يوم محاضرة ثم يسألني ويناقشني في امور عديدة.. في العمل ورأس المال والاغنياء والفقراء وامريكا وروسيا والقيمة الزائدة وكل فرد حسب طاقته او حسب حاجته وفي الحرية وفي المرأة. وحينما ودعته في اليوم الاخير لسجني اعطاني رسالة كي اوصلها لصديق له في حيفا وهناك تم انتسابي للحزب!

ومنذ ذلك التاريخ جرت مياه كثيرة في نهر الاردن وجففت حكومة اسرائيل بحيرة الحولة واحتلت شبه جزيرة سيناء، مرتين وانسحبت منها مرتين ووصل الانسان الى القمر وسار على رماله وصخوره القاحلة واتسعت معلومات مروان واتسعت افكاره وكبرت احلامه.

صار مروان يكره المستغلين والمستبدين ويلعن الشيطان وامريكا والامبريالية ويتضامن مع الشعوب الافريقية والاسيوية ويحتفل في اول



ايار وفي اكتوبر ويقدم لزوجته باقة ورد في الثامن من اذار ويدافع عن حرية المرأة بالعلم والعمل.. ولكن مروان كان ما يميزه عن الاخرين حدته في كراهية الخيانة.. يشتمها ويلعن مستقبل اهلها: والخيانة عنده هي هي سواء خيانة الحزب او خيانة الشعب او خيانة الزوجة، كلها خيانة. فالدنيا ليست سايبة. واعراض الناس ليست مشاعا ومن يهتك عرض احد لا بد من ان يهتك الناس عرضه، ومن يفتح سكاكر الناس لا بد ان يفتح احد قفله ومن يخن زوجته لا يؤتمن على حزبه ولا على شعبه ولا على وطنه!!

ودخّن مروان سيجارة وسيجارتين وثلاثا وتذكر بلدته وساحة العين والتوتة وزوجته ام سلام التي لا بد انها انتهت الان من مشاهدة المسلسل العربي المصري في التلفزيون الاردني والاولاد سلام وفهد ولبنى ورجاء قد ناموا. وام سلام وحيدة في السرير تطفئ النور وتتمدد في فراشها تحت اللحاف والدنيا ليل. هناك ليل ووحدة وهنا في القطار ليل ووحدة وصوت عجلات القطار على السكة حاد ومزعج يؤذي الاذن ولا يسمح بمواصلة التفكير. والسفرة طويلة طويلة فموسكو بعيدة جدا عن ريفا. هذه البلاد مترامية الاطراف والسفر هنا معناه ساعات طويلة. معناه ان يتناول عشاءه وينام حتى الصباح وبعد شروق الشمس بساعات قليلة ستبدو موسكو بعماراتها العالية وقبب الكرملين والكنائس اللامعة.

وحاول الرفيق مروان ان يغلق عينيه وينام لئلا احد يزعجه في قمرته والسرير على الرغم من ضيقه لا بأس به، لا يهتز ولا يزعج ولكن احتكاك الحديد بالحديد وهزات العربات وتراقصها في سكون الليل لا يساعد ولا يشجع على النوم.

وحاول ان يشغل نفسه بالذكريات لتذكر ايام كان الشيوعي الوحيد في بلدته وملاحقات المختار وعملاء السلطة من رؤساء الحمائل له والاحتفالات والاهانات وشتائم ضابط الشرطة ولكماته له «كلما دق الكوز بالجرة» وزعل منه احد زلمه، وابتسم حينما تذكر انه بمفرده كان الفرع والشبيبة وحركة النساء الدمقراطيات وكيف كان بعض الفلاحين الطيبين يتضامنون معه بدعوته لشرب فنجان قهوة «تفضل يا مروان، يا بو سلام، ميّل يا رجل، الجريدة لاحق على توزيعها، تعال أشرب فنجان قهوة ودخن سيجارة، الشغل رابع والعمر رابع، العمر يخلص والشغل ما يخلص».

وسمع مروان صوت صبية تضحك قرب باب القمرة وصوت شاب يداعبها فتململ في سريره ورفع رأسه وتناول علبة السجائر والولاعة واشعل سيجارة اخرى وراح يدخنها بلذة. وبعد دقائق اطفأ عقب السيجارة والتعل حذاءه وخرج من القمرة ووقف في الممر، وتفحص اليمين واليسار. ويدافع خلي اختار اليسار ومشى وهو يتفحص المسافرين بنظرات سريعة، رجال يرتدون

البدلات وربطات العنق ونساء ترتدين الملابس الدافئة مع اننا ما زلنا في آب. عائلة كاملة في قمرة.. الاب والام وطفلان يتحدثون ويضحكون، لو كانت ام سلام وسلام وفهد ولبنى ورجاء معه الان لسمروا وضحكوا وفرحوا واكلوا الفستق الحلبي والبذور ورووا الفكاهات. ولكن ام سلام بعيدة والعائلة بعيدة ولا يعرفون السفر في القطار. وهل انت يا رجل مشتاق للاولاد ام لامهم؟!

وينتقل من قاطرة الى قاطرة اخرى ويشاهد شابا وصبية متعانقين على احد الكراسي غير عابئين بمن يمر قربهما. ويحدق فيهما مستطلعا فيقع نظره على فم الفتاة وهي تقبل عنق الشاب فيشعر ان شيئا قد لسعه في عنقه او كأن احدا قد صفعه على قفاه فينكمش ويواصل سيره. ولكنه، بعد خطوات، انتبه الى انه لم يلعن ولم يشتم هذه الاخلاق المائعة ولم يلق اللوم على الاستعمار والامبريالية والغرب الفاسد المرير، الذي يرسل ابناءه المائعين الضائعين لدول المجموعة الاشتراكية لافساد اخلاق الشباب تخطيطا لافساد النظام - كما قال لرفاقه في سفرته الاولى لموسكو!؟

وجد نفسه متسامحا هذه المرة، فالدنيا ليل، والوحدة قاتلة، والحياة فيها حلو وفيها مر، فيها فرح وسرور وفيها بؤس وحزن، والرجل يحتاج للمرأة والمرأة تحتاج للرجل، هكذا خلق الله العالم، وهكذا هي الحياة منذ سار اول انسان على وجه البسيطة، ولكن، يجب ان تبقى الامور ضمن المعقول، والمعقول هو الا تكون الامور سايبة. يجب ان يبقى هناك ضابط يقول: قف! كفى! اما ان يقول ذلك ومتى يقول ذلك فيبدو ان الامر قد تلجلج على الرفيق مروان.

ويواصل سيره وينظر الى احدى القمرات فيشاهد امرأتين شابتين وتبتسم احداهما له فيشعر ان مسا كهربائيا قد اصابه فيكف بصره حالا.. ولكنه يجد نفسه وبلا ارادة منه ينظر ثانية للمرأتين ليتأكد من عمرهما، ومن جمالهما، ومن الابتسامة، هل هي عابرة ام مصادفة ام لوجه الله ام مقصودة؟! هل هي ابتسامة طائشة ام دعوة لطارق الليل؟

ويفاجأ مروان بأن احدى المرأتين تبتسم له يبتسم وجهها وتبتسم عيناها. ويبتسم فمها، ويبتسم جسدها. وتبتسم قمرتها.. ويبتسم الليل وتبتسم القاطرة والويل لك يا ابو سلام، يا رفيق مروان ليس امامك مناص لتنجو الا ان تتابع سيرك اماما والا وقع المحظور..

المحظور؟؟

وهل الدنيا سايبة؟ وهل النساء فالتة؟ وهل اعراض الناس مشاع؟ اعقل يا رجل! هي الوحدة وهي الغربة وهو الليل.. وقد تكون المرأة تبتسم لرفيقها في القمرة. وقد يكون انها تضحك من نكتة او نادرة، ولعلها تسخر من مروان.. وهي تراه يتجول وحده مثل البدوي في المدينة!!

ويواصل الرجل سيره وينتقل الى قاطرة اخرى ويسمع صوت الحديد على الحديد حادا جارحا ويهتز بدنه مع اهتزاز التقاء القاطرتين ويرى في القاطرة الجديدة مجموعة من الفلاحين بملابسهم وامتعتهم وضحكهم وهرجهم ويدعوه احدهم لشرب كأس فودكا فيشكره بالروسية ويستدير ويقرر ان يعود الى سريره.

هل انت عائد يا مروان الى قمرتك وسريرك وعلبة سجائرك وحقيبتك ووحدتك وليلك الطويل ام انت عائد لتبحث من جديد الى قمرة المرأتين؟ وهل تشدك ابتسامة المرأة؟

هاجس يقول لك: لا .دعك. ثم يعود ويلح عليك وفيك، بماذا تأمرك نفسك يا رجل؟ اعترف! النفس امارة بالسوء، ها، ها انت تقترب من القمرة اياها، هل تستطيع ان تمر من قبالتها بدون ان تنظر الى داخلها وتمتع ناظريك بمرأى المرأتين وجسديهما ووجهيهما وابتسامة المرأة على وجهها وشعرها؟!

كان والده يقول له ان العين تزني وان اللسان يزني وان اليد تزني وان الجسد يزني ومن يعتد على سكاكر بيوت الناس ويفتحها لا بد من ان يرسل الله له احدا يحمل مفتاحا لعينا ويفتح سكرته وانت يا مروان لك زوجة وابنتان وبينك وبين الروس عيش وملح فقد اكلت من طعامهم وشبعت من خبزهم وشربت ماءهم وخمرهم ونمت في بيوتهم وسافرت على حسابهم فهل يعقل ان تخون الرفاق وتخون العيش والملح والفودكا والجبهة الصامدة في وجه الامبريالية والاستعمار وامريكا وبريطانيا وفرنسا وجنوب افريقيا واسرائيل؟!

حذار، حذار، يا رجل!!

هي نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء!! والنظرة كانت زائغة والابتسامة كانت وقحة وصريحة. فكفى يا رفيق، عد من اول الدرب!!

وسار مروان خطوة، خطوتين فأحس نظرات المرأة تلسع عنقه وتقول له يا مغفل!! فالتفت بسرعة لا ارادية فوجد الابتسامة تشرق له مثل فجر الصباح ولم يتمالك الا ان قال بخجل مضطرب: دوبري فيتشر (مساء الخير).

وضحك الجسد الانثوي الممشوق الممدد على السرير على جانبه ورد: دوبري فيتشر.

قالتها المرأة وكأنها تقول: يا هلا - تفضل - شرفتمونا!

ولكن الرفيق مروان تلعثم ولم يدر ما يقول بعد «دوبري فيتشر» فابتسم ابتسامة خجلة مرتبكة وادار ظهره وهو يؤشر براحة يده «وداعا» ويردد «دوبري فيتشر، دوبري فيتشر، دوبري...» ويكاد يلعن نفسه وعدم مقدرته اللغوية لو كان يعرف جملة، جملتين، كلمة، كلمتين، ثلاثا لدخل الى المقصورة وتحدث مع المرأتين عن ريفا وموسكو والاشتراكية وحصاد القمح ومحصول البطاطا والكولوخوز ومساواة المرأة بالرجل، وشكرهما على حسن الضيافة وعلى وقوف السوفييت بوجه الامبريالية الامريكية ودعمهم

(البقية على ص ٢١)

● د. سليم مخولي ®

واليوم عيدي

خمسون عاما وانتظار
خمسون ليلا والنهارُ هو النهار
من الشروق الى الغروب..
شوقي انا،
خمسون لجما من تراب الملح..
في ريح الجنوب...
والارض مروحة وهذا القلب
يصعد من غبار العصر
يمضي في الهبوب...

انا كم اريد لصرختي ومدى الصهيل
الى الوصول، تبدلت ازياؤنا
لبس الجديد من الوعود معاطفا

خمسون شكلا للبعيد...

وتشدنا اوقاتنا في كل زقزقة
مع الصباح، يغرُّنا نجم الصباح
سراتنا طالت وهذا الليل طال
ساعاتنا موقوتة
لا ريح في غبش النهار
خمسون عاما وانتظار...

اطبقتُ جفني دمعة للارض
ملحُ صخرتي، هدفي على كتفي،
انا كم اريد وكم اريد
انا كم اريد مناجلي الضاعت

ومعاولي الوقفت على المداخل والدروب...
انا كم اريد ببارقي الغابت
على سرج المغيب...
انا كم اريد منا بري
ووجدتها..
شكلا جديدا لانحناء السيف
في وهج الحضارة، ما ارى؟
ظلا يراوغ ظله
شجرا تطاول في الهروب...
وقوافل الايتام يحدوها السراب
من الغروب الى الغروب...

واليوم عيدي،

عيد لاغنيتي وحفل معارفي
خمسون عاما للنشيد
ذكرى الوقوف.. على المداخل
والخروج على المحاور، والطواف على الحدود...

يا عيد خذني من خيوط جداولي الصغرى
بعيد كي اراها مرّة،
سقفي ورقصة موجة
للبحر تأتي، كي ارى
صدق المواعظ في الوعود
يا عيد خذني لحظة في يوم عيدي...

(كفرياسيف)

ليلة في قطار ريفا

(تتمة من ص . ٢)

للدول الفقيرة والشعوب الغلبانة واسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية والعالم الثالث كله قشة لفة.

ويسير ويسير فيجد ان الشاب والصبية ما زالا متعانقين ولكن الاوضاع هذه المرة تختلف فالحرارة قد ارتفعت والامور قد تطورت والفتاة تجلس على فخذ الشاب ورأسها على صدره ويده قد ضاعت تحت ثوبها ولا يدري هل هو يقبلها ام يشمها؟ ملاعين جيل هذا اليوم، يحبون الحياة ويعرفون كيف يقاومون الليل والوحدة وعواء الحديد على الحديد واهتزاز القاطرات و.. و..

ويصل الى قمرته ويسرع الى علبة السجائر ويتناول واحدة ويشعلها بالولاعة ويروح يمج دخانها بجشع وحرقة وينفثه في سماء القمرة الضيق ويراقب خيوطه وتموجاته وتعرجاته وانسيابه وضياعه ويشعر ان شيئا ما في داخله يدغدغه ويقول له: هيا. يلعن ابو الليل، وابو الوحدة، وابو الغربة، فعقارب الساعة لا تتحرك وامامك ساعات طويلة حتى تصل الى موسكو والنوم قد هرب وطار من عينيك.

ويكاد هذا الشيء يخزه ويكزه: انهض يا رجل يا مغفل، اعد الكرة وقل: دوبري فيتشر، وادخل الى القمرة وصافحها واجلس وتحدث معها.

تحدث! وبأية لغة تتحدث يا مسكين، انت لا تعرف الا العربية، لا روسية ولا انجليزية ولا فرنسية، ولكنك يا رفيق مروان تعرف لغة اخرى، لغة عالمية هي لغة العيون والرؤوس والايدي والاصابع، لغة الاشارات، لغة الخرسان، لغة البكم.

اذن، قم، وانهض، وغامر، وان فشلت فلا احد يعرفك ولا احد يروي لاهل بلدتك عما حدث.

والشين بيت؟ الا يراقبك هنا؟ الا يرصدك وانت تروح بين قاطرة واخرى؟!

وطرد هذه الفكرة الجهنمية من رأسه وهو يقول: ان الرفاق الروس اقوياء ولن يسمحوا لهم بتخطي الحدود، انت في امان، اطمئن يا رفيق واسترح!

ووجد يديه تبحثان في حقيبته التي تحت السرير ويتناول كيسا من الفستق الحلبي ولوحا من الشوكولاطة السويسرية الذي اشتراه من مطار لينا ورزمة من العلكة ونصف زجاجة ويسكي وثلاثة كؤوس بلاستيكية، رتبها على السرير ثم تناول علبة السجائر والولاعة، ودسهما في جيب الجاكيتة ووضع كذلك الشوكولاطة والفستق الحلبي والعلكة وحمل الزجاجة والكؤوس بيديه وخرج.

وفي طريقه شاهد الشاب والصبية فاحمر وجهه وتمنى لو كان يحمل شرشفا او حراما ليلقيه عليهما فالسترة مطلوبة. ولكنه اسرع واسرع حتى وصل الى باب القمرة.

- دوبري فيتشر

- أوه، دوبري فيتشر

ونهضت المرأتان من سريرهما فصافحهما. كانت المرأة الاولى في الثلاثينات، طويلة، مملوءة الجسم، شقراء الشعر، عيناها زرقاوان، شفتاها ممتلئتان وعليهما اثار الروج وصدرها عامر وبارز ويكشف فستانها عن ذلك المر السحري بين نهديها الذي يغطيه الظل فيزيده سحرا واما المرأة الثانية فكانت في الجيل نفسه، قصيرة الجسم، سمينة الى حد ما، شعرها يميل الى الاحمرار، وعيناها عسليتان.

جلس مروان بجوار المرأة الاولى على طرف السرير بينما كانت المرأتان تتحدثان ولا يدري ما تقولان، لعلهما ترحبان به او لعلهما تتحدثان عن جرأته او بلهه او سخافته.. او.. او.. ثم ضحكتا ضحكة عالية فنفر قليلا لكنه اخذ يخرج ما في جيبه ويضعه على السرير.

- فستق حلبي!

نعم يا سيدتي، فستق حلبي، وشفتاك ايضا فستق حلبي.. وهذا ايضا..

- شوكولاطة!

ايوه يا سيدتي، ومن سويسرا ايضا، احسن شوكولاطة في العالم، والله لا نذوقها في بيوتنا، والدنيا قسمة ونصيب ،قسمتك ان تأكلي منها، ان نأكل معا، ثم مد يده واخرج رزمة العلكة وناولها للمرأة الاولى، وهو يشير اليها والى رفيقتها وكأنه يترجم ما يعنيه: لك؟ ولها!!

فتناولته وهي تضحك وتقول: خراشو، خراشو (جيد).

فرددت المرأة وهي تضحك: خراشو خراشو.

وفتح زجاجة الويسكي وصب قليلا في الكأس وقدمه للمرأة القصيرة ثم قدم كأسا ثانية للمرأة الرشيقة وصب كأسا ثالثة له وقال: يللا بصحة الاشتراكية، سوسيالزم.

فقالت المرأة السمينة: يللا..

وقالت الثانية: سوسيالزم.

فقال: يللا سوسيالزم.

وشربوا الكؤوس وتناولوا حبات من الفستق الحلبي ثم اخرج علبة سجائره ووزع عليهما السجائر واشعلها.

خراشو، خراشو.

وتحدثت المرأة القصيرة جملة او جملتين وردت المرأة الرشيقة بكلمة او كلمتين ثم شاهد المرأة القصيرة تغادر القمرة.

عدّل مروان من جلسته ونظر الى المرأة حتى صار مقابلها وكادت قدمه تلمس قدمها.. وشعر حرارة ساقها على ساقه. وعاد وملأ الكأسين وقال:

سي. سي . آ - خراشو

ضحكت وقالت: خراشو.

وشربا.

وقالت له: امريكان؟

رد انا امريكان؟ انا امريكان؟

نييت.. نييت.. نييت (لا) وكاد يقول لها: يا ويلك من الله.

كل شيء الا هذا، والله لو قالها لي احد في بلدنا لسال دمه الى الركبة.

ما الذي يوحي لك بأنني امريكي يا رفيقة، يا مستورة، يا بنت الحلال؟ لغتي الانجليزية؟ قبعتي؟ ملابسي؟

ثم قال بصوت مسموع: يلعن، يلعن ابو امريكان!!

فضحكت وهي تقول: نييت، نييت!!

فتناول الشوكولاطة وفتح الورقة وقدمه من شفتيها فقضمت شيئا قليلا وقضم هو كذلك فشعر انه طعم شفتيها قد زاد من حلاوة الشوكولاطة فابتسم وهو يحاول ان يترجم لها ذلك، وقال: «شوكولاطة» واشار الى شفتيها ثم الى فمه، فقالت بعض الكلمات وضحكت فضحك كأنه يفهم ما تقوله.

وسألته: برازيل؟

- نييت، نييت، وتابع: هل شكلي هو شكل لاعب كرة قدم؟ لا جسمي يدل على ذلك ولا ملابسي ولا حذائي.

ثم قال وهو يشير الى وجهه: يبدو ان وجهي الاسمر الذي يشبه البن المحمص قد اوحى لك بذلك يا بنت الاوادم!

- افريكا؟

- نييت، نييت، لست افريقيا ولا امريكيا ولا برازيليا.

وشعر ان ركبته قد مست ركبتيها، وان ساقه تحتك بساقها فصب الكأس الثالثة، وحدّق في عينيها وقال: انا، انا اراب (عرب).

- اراب؟

ايوه يا ستي، اراب، عربي ابن عربي ابن عربية.

- نفط؟

- آو، نفط وبترول وكاز وبنزين وسولار وابار ومواسير ورفينري وتصدير.

فابتسمت وقالت: اراب، شيخ!!

- ايوه شيخ، هذه اخرتها، شيخ من قطر، من ابو ظبي، من راس الخيمة في الشارقة.

لا ينقصني الا عباءة وسبحة وشوالات من الدولار.

- دولار؟

ايوه، دولار واحضر وحريم كمان.

فضحكت المرأة عاليا واقتربت منه ومدت يدها ولمسته من وجنته باصبعها وهي تقول: اراب، شيخ، نفط، دولار، اراب، اراب.

وكان يردد: دا، دا، دا (نعم).

وتصور مروان نفسه واحدا من شيوخ الامارات ويملك بئر نفط ودولارات ولصورا فضحك وهو يقول: ايوه، يا شيخ ايوه!

ومد يده ولمس رقبتها، واخذت المرأة تتكلم وتتكلم، كانت تتكلم باسنانها وفمها ويديها ورأسها وعنقها وصدرها.

وكان يتابع ذلك بشغف وانتباه واهتمام كأنه يفهم ما تقوله، ويهز رأسه موافقا واحيانا يقول: «خراشو، خراشو»، واحيانا يقول: «دا، دا، دا» والمرأة تحكي وتبتسم والقاطرة تهتز وجسده يقترب منها، والساق على الساق والركبة لصق الركبة والفخذ يشحذ حرارة الفخذ، ويمد يده ويتناول حبة فستق ويقشرها ويمدها لفمها فتأخذها شاكرة فينظر الى جسدها ويتأوه ويخرج زفيرا حارا يكاد يلذع عنقها ووجهها وصدرها، والمرأة تتكلم وتبتسم وتضحك ثم تقول: «فالانتينا»، وتشير الى نفسها فيدرك ان هذا اسمها فيردد: فالانتينا، خراشو.

وهنا تقول بضع كلمات فيخمن انها تسأله عن اسمه فيتردد هل يقول لها: محسوبك الرفيق مروان، ام محسوبك ابو سلام، ولماذا المخاطرة يا رجل! وفجأة وكأن ذهنه تفتق عن اختراع خطير جدا قال بصوت عال: «علي»، ثم اشار الى نفسه وقال: علي، انا علي!!

- الي، خراشو.

- ايوه الي، علي محسوبك علي، علي بابا والله يا ابو سلام.

- الي بابا!!

وكادت تحضنه فمد ذراعه حول عنقها وضمها اليه بقوة وقبلها من شفتيها قبلة حارة طويلة، ولما افلتت نفسها منه كانت تردد: الي، الي، اراب.

- ايوه، علي وعربي يا رفيقة!

- الي بابا!!

- ايوه، واربعين حرامي كمان.

وصب ما تبقى من الزجاجة في الكأسين وقال: في صحة فالانتينا.

فرددت: الي بابا.

وشربا وضمها بشدة وانهال على عنقها تقبيلا ثم راحت يداه تعبثان في قميصها وتفكان الازرار، ورماه على سرير جارتها ثم وبسرعة الريح انزل التنورة والحذاء وخلع ملابسه وارتمى على جسدها وهي تردد «موشينا.. موشينا (رجل) وهو لا يفهم ما تقوله فيردد، طيب ما تمشينا.. وخلص..»

والقاطرة تهتز وتهتز، والجسدان يهتزان ويهتزان وصوت الحديد بالحديد يضيع ويذوب ويتلاشى في الليل ولا يبقى الا همس اللحم للحم وعواء الجسد للجسد.

والقطار يسير ويسير، والرفيق مروان يتمتم: خراشو، خراشو، دا.. سوسيالزم، ويشعر كأنه يتقن الروسية بل كأنه رضعها من حليب امه.. وصار لسانه طليقا بكلمات يفهمها وكلمات لا يفهمها بل لا يفهمها احد ولا يعرفها احد ولا يدري مصدرها احد. والقاطرة تهتز وتهتز. والجسدان يهتزان.. ومروان يحكي ويحكي.. وخراشو، دا، سوسيالزم.

(١٩٩٢/١٠/٢٦)

٣ - زمن
شهوة... دمار... نقمة!

● بقلم: رجاء بكرية ●

- ١ -

فتات التبغ المحروق... اجزاء الناس المشعوطة... نثار العشب اليابس، كل شيء يقول انه زمن موت ووحشة خلاف خارطة المدينة المضاءة تحت شرشف العتمة واجنحة الفراش المتنحر تحت ضوء الاباجورة السوداء الذي يقضي ليؤكد ان خلفه احياء، وشمع الغرفة الباردة يسيل فوق ورقه الاصفر الذي لا يكفّ يوما عن التدفق ليكون ربما دليلا ومدينا لتفاصيل زمننا الذي يمشي بجسد مقطوع الرأس في شوارع تحتفل بأعياد المذابح الجماعية. الورق الاصفر جاء كعادته يتساءل وهذه المرة يفاجئ... ماذا عن اخبار الفراش الذي ينتحر تحت ضوء الاباجورة اما زال يعتكف حرقته؟. قشعرني السؤال لأني كرهت ان يستذكر رجل عشق زوايا حياتي لحم الفراش المشوي تحت ضوء اباجورة فوق اوراق صفراء كان يستطيع ان يستعيض عنه بأخبار الشجر العالي الذي قرر اناس الحي.

قطعه بسبب اقتراب العواصف. فرشت بلاط الغرفة بتلك الاوراق، تأملتها مليا ثم مشيت عليها، وفكرت ماذا سيظن من يراني على هذه الشاكلة وابتسمت باستخفاف اذ حاولت اقناع نفسي بأني اسير طريق الالام التي مشاها السيد المسيح حتى لا اتراجع عن المكاري المستقبلية بشأن الورق الاصفر الذي ترك الادراج وبدأ يتسلق الجدران المحفورة بالكلام. قشعرني ان اتذكر انه هيأ لنفسه لفافة تبغ دسّ فيها كل الفراش المتساقط ودخنها تحت سيل شتائمي وبصاقي. كأن الذي يمجه ليس شيئا يشبه مادة تكوينه.

- ٢ -

لقد مسخ ازرا باوند فكرته ذات مرة بأنه في ازمنة الانحطاط وحدها ينفصل الشعر نفسه عن الموسيقى وهذه هي الطريقة التي ينتهي بها العالم

ليس بأغنية وانما بنشيج

لورنس فيرلنغيتي

ليس بأغنية بل بنشيج، هكذا سينتهي العالم في ازمنة تبدو فيها الافكار مثل مدينة ميتة والناس مثل عيدان كبريت مترزعة تغطس في بركة ماء فتشتعل.

اقول له سيحترق واحدنا بالاخر وبذلك سنحقق المقولة. اقلّب ورقه الاصفر، اتذكر بأنه كتب يوما ما عن نشيج عميق طويل سينعى فترة لا بأس بقسوتها حتى لا يتذكر انقطاعي المفاجئ عن معاتبة اثاثه الانيق في بساطته المسرف في اهمال فرشاه وعن احتلال هوائه المعلول بينما يطارد ذبابة بلطت فوق السطر الغائص في فحواه، وقد يكون ذاك هو النشيج. كلماته تقفز الى عينيّ وبقلق تنتش...

قال لها: «ونحن مرتبطان بأقوى من الجسد وانت لا تريدين ان تدركي ذلك. عندما اقول لك انت شيء خاص موثق بتاريخي.. فأنا اعني ذلك فعلا».

لماذا الشتاء حين ينقبض تنقبض ينابيعنا المسدودة وتتعرف حاجات اجسادنا على فرحة الحياة؛ لماذا نصير انا وانت انا واحدة، روحي تقول عنك وروحك تتهجأ مفردات جسدي بحرارة ووجع، سألها. ماذا يفعل هذا السائل الابيض بلوحة اجسادنا، وكيف يصيرنا الى كرات زجاجية صغيرة وخفيفة تتعفرت تحت انسجة الجلد الباردة. فسّري لي انت معنى ان اشتهيك لحد البكاء ومعنى ان ابحث عن انثى تضجّ بالمتناقضات المجنونة تأمرني ان اصمت فأصمت وتأمرني ان اصرخ فاصرخ، وتامرني بأن اخرج في مظاهرة فردية ليلية في زقاقات مسكونة بالرهبة ضد اللاشيء، فأفعل لاجل ان اثبت لها اني استأهل ان تحادثني كل مساء خمس دقائق واستأهل ان تمنحني كل اسبوع خمس دقائق لاتأمل ارتعاش اناملها وهي تتحدث عن ماض لا ينجح في الافصاح عن ثغراته واستأهل ليلة عمرها سنة كاملة ارى كل عضو فيها يستحيل طقسا من زوابع يصهل فوق رؤوس الشجر ويموت تحت اقدام البشر. وهي تشعر بأنها مرتبطة بشيء ما فيه، ليس جسده وليست روحه، ليس حديثه المسهب عن الجنس، وليس كلامه الموجز عن الحياة وبلا شك ليس انفراج شفته السفلى عن الاخرى العليا حين يزهق دينه من نظرياتها المعجوجة عن الحب، وليست طفولة اسنانه البيضاء التي يحرص على تنظيفها مرتين في اليوم لاجل ان تظل تهمس له: ولك من وين جايبهن، بدي ارجع لبطن امي علشان يطلعلي زيهن. ليست لا مبالاته التي ايقظت فيها امرأة اخرى غيورة ومتأججة، ليست ضحكته المسموعة عند اخرها ولا حريه المندلعة فيه عليه وعلى كل من حوله، وتعرف انها لا تتعلق بالامور التي يتزاحم عليها الناس ويبتعد عنها هو، تركض خلفها ويركض عنها. اخرجت رأسها من كوة احدثتها بالحائط، تخانقت افكارها مع الغيوم التي لا تمطر ليمطر صدرها المعبق بالغيوم الملونة. قذفت للصمت الباهت شتيمة لفظة ودفنت وجهها بيديها، وحين ابعدتها لاحظت دمعة تجري في خطوط كفّها المورّدة فابتسمت. لمعت تحت الخطوط دمعة زرقاء تتعلق بجفن عينه الايسر لعلها هي الخيط الاقوى من الجسد والاقوى من الروح، السر الذي لن يخطر ببال غيرها. ربما تدرك ذلك لكنها لا تخاطر بفكرة ادراكه حتى النهاية. تفرست بظلال الدمعة وخيّل لها انها تراه خلف زرقتها المتماوجة بأغراء مخيف وفكرت... ماذا لو ضربت بعرض الحائط كل الاوهام وتصارحت معها وارتاحته. حنّت كفيها بوجنتيه وصافحت ابتهال شفتيه هامسة: يا اميري الصغير اود لو اقول لك انا ايضا انك شيء خاص موثق بتاريخي وانني اعني ذلك فعلا. فقط لو تقرر هذه الطفلة الكبيرة ان تعود لطفولتها يوما واحدا. اقفلت يدها على شكل قبضة ضربتها في هواء الغرفة الراكد، وقذفت شتيمة اخرى سمعته يقذف الدنيا بها كلما خانته، وقهقهت تماما كما يقهقه بعبثية مطلقة ونقمة تقاسمتها عضلات وجهها المتوتر، عصبية مجعلكة. تجهم وجهها وانشأت تقفز تقفزات عالية متواترة فوق السجادة الزرقاء، وبناطح رأسها الفراغ بعنف. وحين توقفت كانت تواثبات قلبها اعلى من صراخ الصمت فتقدمت من الكوّة. تركت وجهها يتشرّب برودة وعادت ترقّ افكارها تحت كعب الحذاء، وتعلق شتائمها فوق الجدران الكالحة. وكان لا بد لأي كان يلاحظ تصرفاتها ويسمع شتائمها الا يخالجه شك بكونها ممسوسة الاه هو كان سيلاحظ تصرفاتها ويجلس في زاوية معتمة حتى لا تلتقي بالا لوجوده، ويتزمل هياجها ليفتتن بها اكثر، وكان سيقسم انها العاقلة الوحيدة في غابة بلهاء ثم يبتسم ابتسامة ذات معنى ويندثر بهرج الفراش المتساقط من الاباجورة السوداء. اشعلت سيجارة ثانية ومجت منها بعمق وشراهة، حبستها لثوان وافرغتها بزفرة ثقيلة حارة واستلقت فوق وبر السجادة الرقيق، يد واحدة توسد الرأس والاخرى تقبض جمر السيجارة المتعبة وتتحدث اليها حديثا متقطعا تصله خيطان بيضاء، رفيعة معكرة بينما ترتاح قدمها الواحدة فوق الاخرى بزاوية منفرجة. انفعل الكلام فارتجفت اناملها وتساقط الرماد فوق الكنزة الصوفية كنتف ثلج ابيض، وفحّ جمر السيجارة عناقيد العتمة واضاء لوحة بيكاسو التي تدفئ جسد الجدار العاري وحين ارتدت تفاصيلها لبؤبؤ عينيها تساءلت عمّ يفعله رجل منهك لامرأة منهكة وحدّقت بجمر السيجارة مترقعة اجابة وحين لاحظت ان الرماد وحده يجيب شتمته بتركيبة مفردات غريبة وركدت في القعر المكهرب.

- ٣ -

انا بدونك لا شيء. نحن بدونك ضباب.

ضباب سيجارة متعبة بجرك داخل دمعة لا تسقط. قلت تصدق انه بدونها لا شيء، وتشلق على وحدته حينما تراه يحلم تحت قش ايامه الضحلة، ويسرح بأبعاد من حقده الدفين على نفسه ويفرق، لا تسعفه سوى نزواته وفلسفته الماجنة في تفسير الظواهر وتوقع تجليها والتي هيأت لنظرياته تربة اخرى وآفاقا ممكنة غير انه لم يستطع ان ينقطع عن ايمانه القديم بالكتب السرية رغم نقدها اللاذع وتصريحاتها الكثيرة بشأن نفورها من الادب المتزمت الذي تحتويه. ارادت ان تغضها الى نفسه وتطعن بقدسية مصادرها، وتشوش دقة كل معلومة يأتيها بها لكنها فشلت اذ كان يلتصق بها التصاق القملة بجلدة الرأس وحين كانت تمعن بقذف كتبه تلك كان يهجر فراشها ويفترش حصيرة بالية في المساحة الضيقة التي تفصل حجرة النوم عن المطبخ ولا تهدي كل محاولاتها لاسترضائه فرأسه يابسة محدبته تماما. قلت لا يعني لا وروحي من وجهي فتروح عن وجهه لكنها لا تنام فوق السرير انما تمد طراحة قديمة تحت السرير وتنام، وحين يبحث عنها في الصباح ويجدها على وضعها ذاك يؤنّب نفسه ويطلب الغفران، لكنه بعد اقل من شهر ينسى ويعيد حماقته، وهذه المرة لا يحتاج وقتا طويلا للعثور عليها، يسير مباشرة حتى السرير ينحني على ركبتيه ويسحبها من قدميها بينما تغط في نوم عميق. بدونها سيكون لا شيء، تدرك ذلك، يبقى ان يستوعب هو معنى مرورها العابر الذي لا يحسن التعامل معه. يعرف بأنه سيشل لفترة طويلة اذ ما تلاشت وتعرف هي ذلك، لكنها في ذات الوقت لا تستطيع الاستمرار في معاشرته وهي مقتنعة بأنه لا يمارس الصدق معها، وقد لا يفعل ابدا لذا قررت ان تخونه مع اشد الناس قربا الى روحه كي يستفيق.. وليذهب الى الجحيم. نفضت رماد السيجارة الثالثة فوق وبر السجادة - وانشأت تنفخ جمرتها بنسوة قفزت من عينيها للفراغ واحدثت شرارة عمودية خطفت الق اللحظة وهربت فأتبعتها بشتيمة كان ابن الجيران الذي وقع في هواها المبكر يلطخ بها الاولاد اذ ما اقتربوا منها ليشاركوها اللعب، ودهشت للسرعة التي عادت بها لاصوات المفردات البعيدة... حسنا، تلك الدمعة لن تثنيها عما عزمت عليه، ولتحصد حريه الاخضر واليابس.

- ٤ -

صمت وزمن يخترق العظام في ازمنة النسيان

يخرج من فم ليل يتضرج بالمطر، واخرج خلفه لابحث عن فتات زمن يعيش بلا قلب وبلا نافذة صغيرة واحدة تطل على ذاكرة تركتها تنطفئ بين اناملي المرتجفة، تشتعل فجأة وتقترب من شفاهي تريد ان تمجّ، وحين امتنع تحرق طرف السجادة وتقرر التسلل لغرفة نومي كي تأكل فراشي، اوبخها لتلوي رأسها على جنب وتتخنصر معلنة... «اذا لم تمجّي فمي فسأحرقك انت»، ويلعن ابوكي.. تعالي، حتى لو كنت ذلك الشيء سأمجك، سألوكك، سأمتصك».

شمعتان على كمّة الصمت، وواحدة على قبّة العتمة وفي مواجهة اسنان تعض على مسبة خيط دخان افعواني يتسع ويضيق مثل اوراقه الصفراء، تضيق حين تأتي من خاصرة الحاضر وتتسع حين تعود من حنجرة الماضي. ورقه الاخير علّق صلته بالوجود على سماء دنيا بلا حائط ليقول بأن صوته الذي يفقد في الاونة الاخيرة اوتاره ويجنح الى النشاز يأتي من زمن مثقوب الرئة تتداخل عبر ثقبه كل اللهجات المخلوعة من قبائلها البائدة واضاف «لكني مضطر لان اسدّ ثقبه بأبهامي المعلول لانه الحب رجلا انتج هذه البرية»، لسوف تظل تحب اتهامه وتنفر من بريتها كلما وجدتها مخضرة في الداخل. يذكرها دوما بأنه سيرى ذلك الرجل شاءت ام ابت لانه يعتقد فيه مفتاحا لفهم طقسها. تكلم عنه قبل الان وكانت تصغي اليه وتضحك ببراءة فتخضر البراري في عينيها... من اين ستأتي بها اذ ما تبخر الحاحه ونامت اوراقه خلف ثقب الزمن الذي تكره، هل ستفتقد نكهتها ام انها ستتعامل مع لا وجودها بلا مبالاتها المهلكة وتصفّر عليه كما على ورق يابس، وتستمتع بلعبة العبث كما لم تفعل حين كانت طفلة. لن تجيب الان لانها لا تريد ان تقتنع باجابة ممكنة، وهذا اللا اقتناع ينمي فيها بذورا جيدة لعناد تحب ان تمارسه معه، اذا قال اسود ستقول ابيض واذا قرر السفر بسيارة ستسافر بقطار، ومتى اختار العتمة ستختار النور، واذا اقترح عليها الصمت ستقترح عليه الحديث، واذا ملّ ودفش الباب بحذائه السهور ستكون سهور اكثر منه، ستصافح كفها الدافئة صفيحة وجهه وتودعه للابد. هكذا هو الزمن الذي يعيش برئة مثقوبة يثقب حتى وجوه الناس، ينفخها حتى تتورم ثم يبرحها وينظر من خلالها ليتأكد انه يصادف ذاته تمرق منها.

مجة... مجتان.. عشر.. عشرون تنعس تحت نعش ابيض، وثقب الزمن الذي ترى منه ذاتها يشتعل بسجائر تخرج من عينيها وقلبها وشفاه رأسها، وتلترح عليها ان تمجّ اعضاءها وتؤلمها لتنتشي، فتهتسم وتخجل كما تفعل حين تألم وانتشي.

لكي نكون بشرا ينبغي ان يحطم كل فرد منا اوثانه الداخلية

ورد للسروة العالية المتماوجة داخل دمعتك الواقفة بانتظار ان اقصف وثنها، ووردة لصوت فيروز الذي يغربل كلام اللغة من اوثانه، يغسل ارواحنا من وسخ المسافة التي تجمعنا او تفرقنا عن الناس ويحطم الوثن الداخلي المصلوب في فراغ كل منا. اسأله ان كان سيحبني ان تساقط عن جسدي ذلك الوثن فيقول بأنه سيفكر بالامر. اغضب... ولكني احبتك دون وثن ودون حجر ولم افكر يوما بسؤالك عن تهره فلماذا انت ستفكر، اسمع، ان ذهبت بعيدا في شططك فلا تتذكر مني غير حبة البرد التي ان ذابت لا تظل حقيقة. مججت علب السيجارة نصف المشتعل بقرف ونقمة، دسته تحت قدمي، واطلقت رائحة شتيمة. تفرست بابتسامته البلهاء فرشقني ثلجها الازرق... الوثن الناطق سيفهم معنى ان يكون بشرا بعد ان يفكر، وحتى تموت الفكرة سأدخن واشتم، واصغي لمواء حبات البرد تحت ضلف النافذة المكسورة والاحظ وثني كيف يعود الى وثنيته.

(حيفا - ١٢/١٩٩٤)

من اولها

● احمد دحبور ●

بحثا عن اختلاف

● أتساءل، بعد ثلاثة اشهر من عمر هذه الزاوية، هل وفيت بما قطعت على نفسي؟ ان ابحث، قدر الامكان، عن مسائل صغيرة او كبيرة قد تتفاوت فيها وجهات النظر بين ابناء البيت الواحد في الوطن والشتات؟ ألم اختر لهذه الزاوية هذا العنوان «من اولها» في محاولة متواضعة، ولكن مشروعة، لاكتشاف العلاقة بين الوجه والمرآة؟ ولكن ما حيلتي اذا كان التطابق كاملاً بحيث يصبح البحث عن الاختلاف ضرباً من المكابرة والتزيّد؟ بل إن هذا الاختلاف، اذا وجد، لن يأخذ المسار الجغرافي السياسي من داخل وخارج، فقد ينجم بين اثنين في الوطن، وقد يظهر بين اثنين في المنافي.. وبعد هذا الاحتراز غير الضروري تعالوا نبحث عن اختلاف ما.

لنقل اننا منذ صدمة صوفيا ١٩٦٨، اصبحنا نتحاشى طرح السؤال عن كيفية اللقاء وحيثياته، وللتذكير فإن ما حدث في صوفيا ١٩٦٨ هو اشتراك شاعرينا الكبيرين محمود درويش وسميح القاسم في مهرجان الشبيبة العالمي، لان هذا من حقهما، ولانهما كانا يرغبان في لقائنا، نحن المنتظرين في المنفى على أحر من الجمر، ولكن الحماقة العربية الرسمية المعززة بالجهل والكذب، صورت تلك المشاركة وكأنها مؤامرة صهيونية، بل إن شاعراً من الدرجة الاولى في الميزان السياسي آنذاك، ومن الدرجة الثالثة في الميزان الشعري، زعم، وكاد يبكي من التأثر!! انه رأى الشاعرين يحملان العلم السداسي، وان احدهما - بعد ذلك - هدده بالانتحار اذا لم يغفر له.. وبلغت الصفاقة بشاعر الدرجتين الاولى والثالثة انه وصف الحبل الذي كان يحمله الشاعر الفلسطيني والذي هدد بأن يشنق نفسه به «على زيتونة في ساحة الدار»!!

بعد هذه المسخرة الجائرة، كتب محمود درويش قصيدته التي يقول فيها:

يوم قالوا لنا: الحرب كر وفر
وفروا..
يوم كانت سياط جهنم تشرب جلدي
شربوا الخمر نخب انتصار الكراسي

وكان واضحاً من تلك الصرخة، ان الاحتجاج فيها موجه الى اصحاب الكراسي، وليس للناس، للاحباب والاهل المنتظرين، واذا كانت المقاومة الفلسطينية من خلال دورياتها الرسمية قد حسمت هذا الموضوع في حينه بتحيتها للشاعرين وتباهيها بأنهما من رموز الثقافة الفلسطينية، فان امراً ما ظل بحاجة الى توضيح.. من ذلك انه بعد «كامب ديفيد»، تلقى الشاعر سميح القاسم دعوة من مؤسسة وطنية مصرية الى زيارة مصر، فبرزت بعض الاقلام (التي لا نشك لحظة في اخلاصها ووطنيتها) لتنصح الشاعر بعدم تلبية الزيارة لانها شكل من اشكال التطبيع!! وكان من الصعب، يومها، اقناع كاتبة ومناضلة مثل فريدة النقاش ان لقاءنا بأهلنا الصامدين في الجليل هو مكسب وليس تنازلاً، واننا لا نملك، لا نحن ولا هم، ما نتنازل عنه في هذا المجال، ولم يكسر هذه العقدة الا المهرجان الثقافي الحاشد الذي نظمته دائرة الثقافة الفلسطينية في القاهرة عام ١٩٩٠ ودعت اليه عدداً من ألمع المثقفين الفلسطينيين مثل توفيق زيّاد واميل حبيبي وسميح القاسم. وكان النجاح المدوي لذلك اللقاء التاريخي بمثابة تدشين لفهم نوعي لمسألة وحدة الشعب الفلسطيني من خلال رموزه الثقافية قبل كل شيء.. وهو ما يفسر ترحيب فريدة النقاش نفسها، وغيرها ممن كان يشاركها الرأي، بسميح واميل وتوفيق وبقية الكوكبة.

الا ان هذه المسألة البسيطة: ان يلتقي الانسان نفسه، سمحت لبعض اهلنا في الوطن ان يرحبوا بفكرة اجتماعنا اليهم في الناصرة وحيفا وغيرهما من حواضر البلاد، وهكذا نشأت قضية حساسة مركبة، فليست المسألة مسألة من يزور الآخر، وانما هي قراءة لمفردات اللغة السياسية الراهنة، فبقدر ما نرى طبيعياً، ان نعود الى الوطن مهما كانت حيثيات العودة - وقد تحدثنا في هذا من قبل - وبقدر ما نسعى الى التنقل من غزة والضفة الى الجليل، بقدر ما نرفض ان يأتي كاتب عربي الى الناصرة او تل ابيب الآن.. ليس معنى هذا ان على رأس الفلسطيني ريشة تسمح له ما تحرمه على شقيقه العربي غير الفلسطيني، ولكن على الارض استحقاقات لم تنجز بعد، وهو ما يجعلنا ننحني احتراماً للمثقفين المصريين الذين يعزلون اجتماعياً وثقافياً كل من تسول له نفسه زيارة تل ابيب، ولكنهم لا يتناقضون مع انفسهم عندما يستقبلون المثقف الفلسطيني القادم اليهم من الجليل بالاحضان. فالمثقف الفلسطيني يذهب الى شعبه العربي ويختم جواز سفره (او لا يختمه) بالخاتم العربي، اما المثقف العربي فانه حين يأتي الى فلسطين، ويختم جواز سفره (او لا يختمه)، انما يستبق الاحداث المعلقة، ويبادر، وهو الاستراتيجي، الى التساوق مع التعاطي السياسيّ اليومي، وشتان بين الرؤيا الثقافية وبين التكتيك القابل للتبديل والتعديل غير مرة في الشهر الواحد وربما في الاسبوع الواحد.

لقد رفض المثقفون المصريون بشدة زيارة علي سالم وحسام الدين مصطفى الى فلسطين، وهم يرحبون الآن بسميح القاسم في مصر، ومن الاكيد ان شاعرنا الجليلي لن يزعم ان في نية علي سالم الانتحار اذا لم نغفر له زيارة فلسطين، ذلك ان شاعرنا ليس من تلك الدرجة (الاولى والثالثة)، اما جموح علي سالم الى التطبيع الفج الفظ فلن يوصله الى الانتحار، مع انه - لو يدري - عندما فعلها وزار.. قام بفعل الانتحار، ولنا عودة، او كما قال اسلافنا، للبحث صلة..

